١٠

العرفاء في بلاد الأندلس
خلال عهدي الإمارة والخلافة
(١٣٨-٤٢٢هـ/٧٥٥-١٠٣٠م)

Sergeants in Andalusia during the Emirate and Caliphate eras (138-422 AH/755-1030AD)

إعداد

أ.م.د.أنيس محمد جاسم المشهداني

وزارة التربية / الكلية التربوية المفتوحة

Assi. Prof. Dr: Anis Muhammad Jassim Al-Mashhadani

Ministry of Education / Open Educational College

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي-الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات

الملخص

هذا بحث يتناول ((العرفاء في بلاد الاندلس خلال عهدي الامارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م))، إذ عرفت الدولة العربية الإسلامية وظيفة العرفاء منذُ نشأتها الأولى، وانحصرت واجباتهم على الشؤون العسكرية والتنظيمية للقبائل، وشهد منصب العريف تطوراً كبيراً في بلاد الاندلس، إذ تعددت خصائصه ووظائفه خلافاً لما كان سائداً في المشرق الإسلامي، واصبح لهم دوراً مهماً ومحورياً في جميع جوانب الحياة السياسية والإدارية والعسكرية والأمنية والعمرانية والاقتصادية، ونظراً لأهمية الأدوار التي أوكلت اليهم، فقد ارتبط اغلبهم بأمراء وخلفاء الاندلس بشكل مباشر لإنجاز مهامهم الخاصة والعامة، وكان البعض منهم اعواناً لأصحاب الخطط الكبرى في بلاد الاندلس، واصبحوا يشكلون جزءً مهماً ورئيساً في هيكلية الجهاز الإداري للدولة، وقد قسمت البحث الى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، بينتُ في التمهيد نشأة وتطور وظيفة العرفاء في الدولة العربية الاسلامية، وتطرقتُ في المبحث الأول الى:(العرفاء في عهد الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م)، وخصصتُ المبحث الثاني:لـ(العرفاء في عهد الخلافة ٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م)، ثم خاتمة بينتُ فيها اهم النتائج التي توصلتُ اليها.

Abstract

This study presents (The Corporals in Andalusia Country During the Era of The Principality and The Caliphate Between 422-138 AH / 755-1030 AD). Corporals' duties was firstly known in The Islamic Arab State, which were confined to the military and organizational affairs of the tribes. The duties and characteristics of corporals varied according to what was prevalent in the Islamic East, which have an important and a pivotal role in all aspects of political, administration, constructed, military and economic.

Most of corporals were directly associated with princes and caliphs (successors) of Andalusia to accomplish their private and public tasks, while others were the assistants to those who making the biggest plans in Andalusia country, therefore they became an important and major part in the structure of the state's administrative apparatus.

This study consists of an introduction, a preface, two chapters and finally conclusion.

The preface of this study shows the emergence of corporals' function and its developments in The Islamic Arab state, while chapter one involves (The Corporals in the Era of The Principality during 138-316AH / 755-928AD), and chapter two presents (The Corporals in the Era of The Principality during 316-422AH / 928-1030AD).

Finally, the most important findings are presented in the conclusion.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الأخيار المنتجبين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن تراثنا الإسلامي زاخر بالكثير من الموضوعات المهمة التي تحتاج إلى من يتصدى لها بالبحث والدراسة، سيما الموضوعات المتناثرة بين متون الكتب، وتحتاج إلى البحث والتحري عنها بدقة عالية، وبذل مجهود كبير كي تخرج للقراء بموضوع موحد ومتجانس من جميع الجوانب.

ويُعدّ موضوع العرفاء في بلاد الأندلس من المواضيع المهمة والحيوية، فقد أدوا دوراً مهماً ومحورياً في جميع جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والإدارية والعسكرية والأمنية والعمرانية، ونظراً لاهميتهم الكبيرة وحيوية دورهم، فقد ارتبطوا بالحاكم الأندلسي مباشرة، وكان بعضهم أعواناً لأصحاب الخطط الكبيرة في بلاد الأندلس، وقد جاءت المعلومات عن العرفاء متناثرة ومتفرقة بين متون الكتب، ولم يتصدَّ الباحثون عنها بدراسة أكاديمية، ولم يخرجوا موضوعاً موحداً وشاملاً عنهم، لأن مثل هذه الموضوعات تستلزم التقصي والبحث الدقيق والعميق في المصادر، الأمر الذي شجعني على الكتابة عن هذا الموضوع من خلال بحثي المعنون: ((العرفاء في بلاد الأندلس خلال عهدي الإمارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م)).

وتكمن أهمية الموضوع بأن وظيفة العرفاء عُرفت في زمن الدولة العربية الإسلامية منذُ نشأتها، واستمر العمل بها طيلة الخلافة الراشدة والدولة الأموية، وانحصرت واجبات ومهام العريف في الشؤون الحربية من حيث تجميع المقاتلين من قبل المسؤول عنهم عندما يعلن النفير العام، وقتالهم تحت رايته، وغيرها من الأمور التنظيمية التي تخص قبائلهم كتوزيع العطاء والغنائم عليهم، فكانوا حلقة وصل بين المجتمع وبين الحكام والولاة أما في بلاد الأندلس، فقد عُرِفَ نظام العرفاء منذُ بداية الفتح العربي الإسلامي لها عام ٩٢هـ/ ٧١٠م، وكان ذلك لأغراض عسكرية، إلا أن هذا النظام شهد تطوراً كبيراً خلال عهدي الإمارة والخلافة، فتعددت خصائصه ووظائفه، فوجدتُ أكثر من عشرين وظيفة مختلفة تولاها العرفاء، خلاف ما كان سائداً في بلاد المشرق، فضلاً عن ذلك أن العرفاء في بلاد الأندلس يشكلون جزءً مهماً ورئيساً من موظفي الدولة، وارتفعت مكانتهم إلى أن أصبحوا يجلسون مع كبار موظفي الدولة عند استقبال الوفود الرسمية، واعتمد الأمراء والخلفاء عليهم في إنجاز مهام خاصة وعامة، ومن هنا تكمن أهمية هذا البحث، الذي حاولت من خلاله أن أقف على أصناف العرفاء وأوضح المهام المختلفة المناطة بهم، وسعيت إلى أن أطلع على سيرهم، والشروط التي ينبغي توفرها فيمن يتقلد هذه الوظيفة وحسب اختصاصها، فضلاً عن الوقوف

على صلاحيات العرفاء وواجباتهم، والتطورات التي شهدها نظام العرافة خلال عهدي الإمارة والخلافة، والتعرف على آثارهم الملموسة ومنجزاتهم فيما عهد لهم من مهام.

وقد اقتضت ضرورة البحث أن ينتظم بمقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع.

كرستُ التمهيد لبيان نشأة وتطور وظيفة العرفاء في الدولة العربية الاسلامية.

وبيّنتُ في المبحث الأول:(العرفاء في عهد الإمارة ١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م).

وخصصتُ المبحث الثاني:لـ(العرفاء في عهد الخلافة ٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م).

واعتمدتُ في هذا البحث على مصادر متعددة ومتنوعة، لاسيما مصادر التاريخ العام، وكتب التأريخ المحلي، وكتب التراجم والطبقات، فضلاً عن المعاجم الجغرافية والبلدانية التي عرفت لنا المواقع الجغرافية التي وردت في متن البحث، ومعاجم اللغة التي أماطت اللثام عن مفهوم العرافة لغة واصطلاحاً، وكان لها دور بارز لا يمكن إغفاله مهما كانت طبيعة وحجم المعلومات التي تم استقائها منها، فضلاً عن العديد من المراجع الحديثة التي دعمت البحث بما أوردته من آراء واستنتاجات قيمة.

وأرجو من الله أن أكون من الذين اجتهدوا في بحثهم العلمي، فإن أصبتُ فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن نفسي، ويبقى الكمال غاية لا تدرك فهو لله وحده.

التمهيد

نشأة وتطور وظيفة العرفاء في الدولة العربية الإسلامية.

أولاً: العريف لغة واصطلاحاً.

١- العريف لغة.

العَرِيف هو فَعِيل بمعنى فاعل، وهو بفتح العين، وكسر الراء، وعرف فلان فلاناً، والعريف هو العارفُ العالم بالشيء، وعريف القوم أي سيدهم، والعريف القيم والسيد لمعرفته بسياسة القوم، وعُرف عليهم يعرف عرافة، والجمع عرفاء[١]، وقيل العرافة كالولاية[٢].

(١) الهروي، أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهري (ت، ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١(بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٢، ص٢٠٧؛ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل المرسي (ت، ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥)، المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط١ (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، ج١، ص ص٣٢١-٣٢٢؛ ابن منظور، أبو الفضل محمد بن جمال الدين مكرم الإفريقي المصري (ت، ٧١١هـ/ ١٣١١م)، لسان العرب المحيط، ط٣، (بيروت، دار صادر، ١٤١٤ هـ/ ١٩٩٣م)، ج٩، ص ص٢٣٦-٢٣٩.

(٢) الرازي، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت، ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٤، ص٤٨٢.

وذكر ابن حجر العسقلاني (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)[١] بأن العريف بوزن عظيم، وهو القائم بأمر طائفة من الناس من عَرَفتُ بالضم وبالفتح على القوم أعرف بالضم فأنا عَارِفٌ وعَرِيفٌ أي وليت أمر سياستهم وحفظ أمورهم، وسمي بذلك لكونه يتعرف أمورهم حتى يُعرفَ بها من فوقه عند الاحتياج.

٢- العريف اصطلاحاً.

بَيّن العلماء معنى العريف اصطلاحاً إذ قالوا العرفاء جمع العريف، وهو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس التي يتولى أمورها، ويتعرف الحاكم أو الأمير منه على أحوالهم وأمورهم واحتياجاتهم، فالعريف هو همزة الوصل بين الحاكم والجماعة التي يتولى عرافتهم[٢]،

والعرافة: عمله[٣].

وذكر أبو الوليد الباجي(ت، ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م) تعريفاً للعرفاء، واختصره على مهامهم العسكرية، إذ قال: ((... العرفاء رؤساء الأجناد وقوادهم ولعلهم سموا بذلك، لأنهم بهم يتعرف أحوال الجيش...))[٤].

إلا أنه في محل آخر يبين اختصاصات أوسع للعريف تتعدى الجانب العسكري إذ ذكر بان الامام علي بن ابي طالب (عليه السلام) قال: إن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دون الدواوين وجعل فيها أرباعاً وجعل عليهم عرفاء[٥].

وهو بذلك يبين أن العرفاء كانوا يقومون بمهام إدارية وتنظيمية، وخاصة في مسألة توزيع العطاء على الجماعات المسؤولين عنها، وهم بذلك يمتلكون سجلات يدونون بها أسماء من يشملهم العطاء من

(١) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت، ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧٩هـ/ ١٩٥٩م)، ج١٣، ص١٦٩

(٢) جلال الدين الشيزري، أبو النجيب عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله العدوي الشافعي (ت، نحو ٥٩٠هـ/ ١١٩٣م)، المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق: علي عبد الله الموسى، (الزرقاء، مكتبة المنار، بلا. ت)، ص٦٠٠؛ الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت، ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م)، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩ هـ/ ١٩٩٨ م)، ج١، ص ٦٤٦؛ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب (ت، ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٦، ص١٥٣؛ الهندي، جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي (ت، ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)، مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار، ط٣ (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج٣، ص٥٦٩.

(٣) شمس الدين البعلي، أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل (ت، ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م)، المطلع على ألفاظ المقنع، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب، ط١ (المملكة العربية السعودية، مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م)، ص٢٥٢.

(٤) سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي القرطبي (ت، ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م)، المنتقى شرح الموطأ، ط١ (مصر، مطبعة السعادة، ١٣٣٢هـ/ ١٣٣٢م)، ج٦، ص٣.

(٥) المنتقى، ج٦، ص ٣.

جماعاتهم من رجال ونساء وأطفال، ويسجلون المولودين الجدد ليخصص لهم العطاء، ويسقطون من السجل من يتوفى منهم [١].

وعرفهم ابن جماعة الحموي (ت، ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م) بتعريف أكثر وضوحاً قائلاً: ((... يستحب أن يكون للأجناد عرفاء، ... يعرض على السلطان أحوالهم، ويرفع إليه أخبارهم، ويجمعهم عند الحاجة إليهم...))[٢].

واتفق اغلب العلماء والمؤرخين الذين أوضحوا مصطلح العريف بان حصروا مهمته واختصاصه على الشؤون العسكرية والتنظيمية للقبائل، في حين إننا وجدنا أن العرفاء في بلاد الأندلس أصبحت لهم اختصاصات متعددة ومهام متنوعة تميزت بها بلاد الأندلس عن غيرها من المدن والأمصار الإسلامية.

ثانياً: نشأة وتطور وظيفة العرفاء في الدولة الإسلامية.

عرفت الدولة الإسلامية وظيفة العرفاء منذُ نشأتها الأولى، فقد ورد مصطلح العريف في الدولة الإسلامية أثناء بيعة العقبة الثانية[٣] عام ١٢هـ/ ٦٢٢م قبل الهجرة النبوية بثلاثة أشهر، إذ اختار رسول الله (ﷺ) اثني عشر عريفاً أو نقيباً يمثلون قومهم أمام رسول الله (ﷺ)، ويبلغون جماعاتهم تعاليم رسول الله وتوجيهاته، ويتولون تنفيذ أوامره ونواهيه[٤].

وقد حث رسول الله (ﷺ) على اتخاذ العرفاء إذ قال: ((إن العرافة حق ولا بد للناس من العرفاء...))[٥].

(١) الزبيدي، محمد حسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، (بغداد، بيت الحكمة، ١٤٠٢هـ/ ٢٠١٩م)، ص ص٥٤-٥٥.

(٢) بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعدالله الكناني الشافعي (ت، ٧٣٣هـ/ ١٣٣٢م)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، تحقيق: عبد الله بن زيد آل محمود وفؤاد عبدالمنعم أحمد، (الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص ١٤٤.

(٣) بيعة العقبة الثانية: حدثت في السنة الثانية عشر من البعثة النبوية الشريفة، وتسمى ببيعة العقبة الكبرى، حدثت على تل بين مكة المكرمة ومنى، وقد بايع رسول الله (ﷺ) فيها ثلاث وسبعون رجلاً من الأوس والخزرج وامرأتان على السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والانفاق في العسر واليسر، وعلى نصرة الرسول (ﷺ) والدفاع عنه والكثير من الأمور، وكانت هذهِ البيعة هي الممهد الرئيس لهجرة رسول الله (ﷺ) والمسلمين إلى يثرب (المدينة المنورة). ينظر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري (ت، ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م)، جوامع السيرة النبوية، (بيروت، دار الكتب العلمية، بلا.ت)، ص ٦٦؛ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت، ٥٨١هـ/ ١١٨٥م)، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبدالسلام السلامي، ط ١ (بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٤، ص٩٨.

(٤) ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري(ت، ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط٢ (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م)، ج١، ص ص٤٤٣-٤٤٤.

(٥) أبو داود الطيالسي، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي (ت، ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)، سنن أبي

وبعد أن هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة المنورة واستقر بها اختار لكل قبيلة عريفاً، وجعل كل مَنْ يَقدم إلى المدينة المنورة من الأعراب ينزل على عريفهُ[1].

وعندما بدأت الغزوات والسرايا تبعث من المدينة المنورة أصبح العريف يقود قومه في الجيوش الإسلامية، ويُعرّف الأمير والقائد بأحوالهم، ويجمعهم عند الحاجة إليهم، فقد ذُكر بأن رسول الله (ﷺ) جعل في غزوة خيبر عام ٧هـ/ ٦٢٨م على كل عشرة عريفاً يقودهم[2].

وبعد معركة حنين عام ٨هـ/ ٦٢٩م وفدَ على رسول الله (ﷺ) وفد هوازن مسلمين مطالبين برد سبيهم وأموالهم إليهم، فطلب رسول الله (ﷺ) استشارة المسلمين في ذلك فوافقوا على رد السبي، إلا أن رسول الله (ﷺ) قال لهم: ((ارجعوا حتى يرفع إِلينا عُرفاؤكم أَمركُم...))، فرجع المسلمون إلى عُرفائهم وأخبروهم بأنهم موافقين على رد سبي هوازن، وتجمع العُرفاء عند رسول الله (ﷺ) وأعلموه بموافقة المسلمين، فرد السبي إلى وفد هوازن[3].

وما فعله رسول الله (ﷺ) كان لإقرار هذهِ الوظيفة، وإعطائها المكانة والصفة الشرعية أمام المجتمع الإسلامي، ولبيان أهمية العريف ومكانته عند رسول الله (ﷺ) في الدولة الإسلامية.

واقتصرت مهمة العريف خلال العهد النبوي على القضايا الاجتماعية والعسكرية، أما في العصر الراشدي فقد استمر الاعتماد على العرفاء في تنظيم شؤون القبائل الاجتماعية والحربية، وأصبحوا مسؤولين أمام الوالي عن قبائلهم والمجموعات المنظوية تحت قيادتهم، فعندما تولى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (١٣-٢٣هـ/ ٦٣٤م-

داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت، المكتبة العصرية، بلا. ت)، ج٢، ص١٤٦؛ أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى التميمي(ت، ٣٠٧هـ/ ٩١٩م)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١(دمشق، دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م)، ج٣، ص٥٧.

(١) البغوي، أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبدالعزيز (ت، ٣١٧هـ/ ٩٢٩م)، معجم الصحابة، تحقيق: محمد الأمين بن محمد الجكني، ط١ (الكويت، مكتبة دار البيان، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٣، ص٤١٣.

(٢) ابن جماعة الحموي، تحرير الأحكام، ص١٤٤.

(٣) البيهقي، ابو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني (ت، ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، دلائل النبوة، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية / دار الريان للتراث، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م)، ج٥، ص١٩٠؛ الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت، ٧٤٨هـ/ ١٣٤٤م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وحسين الأسر، ط١(بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ج٢، ص ١٤٧؛ تأريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١ (بيروت، دار الغرب الإسلامية، ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص ٤٠٨؛ الخزاعي، أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن موسى ابن مسعود ابن ذي الوزارتين (ت، ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م)، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، تحقيق: إحسان عباس، ط٢ (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص٢٥٩.

٦٤٤م) الخلافة: ((...فرض الفرائض، ودون الدواوين، وعرف العرفاء...))[١].

وحرص الخلفاء الراشدون على اختيار وانتقاء العرفاء وفق شروط معينة، وهي أن يكون العريف ذا مكانة كبيرة عند قومه، وان يتصف بالأمانة والتقوى والورع[٢].

وفي خلافة سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام(٣٥-٤٠هـ/ ٦٥٥-٦٦٠م) استمر الاعتماد على العرفاء، فكلفهم بتوزيع العطايا والأموال على من يتبعهم من الناس، وكلفهم بإدارة الشؤون المدنية والعسكرية المختلفة في الولايات الإسلامية[٣].

وفي عصر الدولة الأموية (٤٠-١٣٢هـ/ ٦٦٠-٧٤٩م) زاد نفوذ العرفاء، واستمرت الدولة بالاعتماد عليهم في تنظيم شؤون القبائل والسيطرة على النظام والاستقرار داخل المدن، والبحث عن المطلوبين، واستدعاء الناس للحرب واستنفارهم عند الحاجة إليهم، وتوزيع العطايا عليهم، ورفع ما يقدمه قومهم من مقترحات، وتظلمات إلى الوالي، والنيابة بالحديث والمدافعة عنهم، وبهذا أصبح العرفاء في الدولة الأموية من أهم الموظفين المساعدين للوالي في إدارة المدن الإسلامية، وأصبحوا حلقة الوصل بين الوالي والمجتمع[٤].

المبحث الأول
العرفاء في عهد الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/٧٥٥-٩٢٨م).

عرفت بلاد الأندلس نظام العرافة منذُ أن وطأت أقدام المسلمين أرض شبه الجزيرة الإيبيرية، فأول إشارة تدل على وجود وظيفة العريف في بلاد الأندلس كانت مع عبور (موسى بن نصير)[٥] إلى بلاد

(١) ابن حنبل، أبو عبد الله احمد بن حنبل الشيباني (ت، ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، ط١، (الرياض، دار الخاني، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٢، ص ١٩٣.

(٢) ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (ت، ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، تحقيق: إحسان عباس، ط١ (بيروت، دار صادر، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، ج٥، ص٣٠٩.

(٣) القاسم بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت، ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م)، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ص٥٥.

(٤) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الآملي(ت، ٣١٠هـ/ ٩٢٢م)، تأريخ الرسل والملوك، ط٢(بيروت، دار التراث، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، ج٢، ص٣٨٥؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاوغلو بن عبد الله البغدادي (ت، ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تأريخ الأعيان، ط١ (حيدر آباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م)، ج ٧، ص٢٩٦.

(٥) موسى بن نُصير: أبو عبد الرحمن موسى بن نُصَير اللخمي بالولاء، من التابعين، كان راوية، عاقلاً، كرياً، شجاعاً، ورعاً، تقياً، قائداً عسكرياً فذاً، تقلب في المناصب والمهام إلى أن عينه الأمير عبدالعزيز بن مروان والي مصر عام ٧٩هـ/ ٦٩٨م والياً على إفريقية، فاستكمل عمليات الفتح، وعلى يده ويد مولاه طارق بن زياد تم فتح الأندلس. ينظر: ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت، ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)، الإمامة والسياسة،

الأندلس، إذ ذكر ابن عبدالحكم (ت، ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)[١]: ((... خرج موسى بن نصير إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر حتى دخل الأندلس...)).

ومن هذا النص نفهم بأن وظيفة العريف في بلاد الأندلس أثناء مدة الفتح الإسلامي نفسها في العصرين الراشدي والأموي، والتي فرضت عليه واجبات وصلاحيات قيادة قومه في الحروب والمعارك، ولم يطرأ على وظيفة العريف أي تطور خلال عهد الفتح (٩٢-٩٥هـ/ ٧١٠-٧١٣م)، وعهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٠-٧٥٥م) إنما بقت وظيفته تنظيمية، فضلاً عن كونها وظيفة حربية.

إلا أن في عهدي الإمارة (١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م)، والخلافة (٣١٦-٤٢٢هـ/ ٩٢٨-١٠٣٠م) حدث تطوراً كبيراً في مهمة العرفاء، إذ أصبح العرفاء جزءً رئيساً في الهيكل الإداري والتنظيمي للدولة في بلاد الأندلس، فلم يقتصر دورهم على قيادة القبائل وتنظيم شؤونها العسكرية والاجتماعية، إنما كان لهم اختصاصات متعددة ووظائف مختلفة مرتبطة بشؤون الأمير أو الخليفة، وأخرى بشؤون القصر، فضلاً عن دورهم في تنظيم شؤون الحياة الإدارية والعسكرية والأمنية والاجتماعية، وأهم ما تميز بهِ أغلب عرفاء الأندلس أنهم كانوا مرتبطين بالأمير أو الخليفة مباشرة ويتلقون أوامره، وينفذون توجيهاته، وبهذا أصبح العريف في بلاد الأندلس من الشخصيات المهمة في الجهاز الإداري والسياسي والعسكري للدولة، وهذا ما سأبينه لاحقاً.

ونظراً لأهمية وظيفة العريف فإن هناك شروطاً ومواصفات يجب أن تتوفر فيمن يتولى وظيفة العرافة ببلاد الأندلس في مقدمتها السيرة الحسنة، والأخلاق العالية، والأمانة، والثقة، والورع، والنباهة، والصلاح، وأن يكون ذا مكانة وقدر عالٍ عند قومه وجماعته، شجاعاً، مقداماً، ذكياً، نبهاً، حاذقاً، ناصحاً، عارفاً، خبيراً، عالماً بشؤون العرافة التي يتولاها، ويكون من الصناع المتقنين والمهرة المتفننين فيها[٢].

تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج٢، ص ص٢٢٧-٢٣٢؛ ابن الآبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت، ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ط٢ (القاهرة، دار المعارف، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨ م)، ج٢، ص٣٣٢؛ ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى المغربي (ت، ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، المغرب في حُلى المغرب، تحقيق: شوقي ضيف، ط٤ (القاهرة، دار المعارف، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ج٢، ص٤٣٤.

(١) أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله المصري (ت، ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م)، فتوح مصر والمغرب، (بلا. م، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص٢٣٥.

(٢) ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت، ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، (بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)، ص ٢٥؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط ١ (بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص١٩٠؛ ابن عذاري، أبو عبد الله محمد بن محمد المراكشي (كان حياً سنة، ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)،

أما الواجبات التي يُكلف بها العرفاء فإنها تختلف من عريف إلى آخر حسب العرافة التي كان يتولاها، إلا أن أغلبهم كانوا يشرفون على أحوال جماعتهم، ويطالعون أخبارهم، ويوفرون ما يحتاجونه لإنجاز أعمالهم بمهارة كبيرة وعالية، وينبهون أتباعهم على الأخطاء، ويحذرونهم من الوقوع فيها، فضلاً عن دورهم في معالجة الخلافات والنزاعات التي تقوم بين أفراد مجموعاتهم، والحكم فيها دون إيصالها إلى الحاكم، كما يتولى العرفاء توزيع الأعطيات والرواتب على مَنْ يكون تحت رايتهم، ويمتلك العرفاء سجلات يدونون فيها أسماء مجموعاتهم وما يمتلكونه من حيوانات ودواب والآت ومعدات وتجهيزات مختلفة، ومقدار أعطياتهم وما يتم نفقته عليهم[1].

وهذهِ هي الواجبات العامة لأغلب العرفاء، ومما يجدر ذكره بأن هناك واجبات خاصة لكل عريف حسب المهام التي يكلف بها ووفقاً لاختصاصه.

وسأخصص هذا المبحث لعرفاء عهد الإمارة وهو العهد الثالث من العهود السياسية في بلاد الأندلس، ويبدأ من عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وهي السنة التي تمكن فيها الأمير الأموي (عبد الرحمن بن معاوية)[2]، المعروف بعبد الرحمن الداخل، من إعلان الإمارة الأموية في بلاد الأندلس، ويستمر هذا العهد إلى عام

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م)، ج٢، ص٨٠؛ محب الدين المقدسي، أبو حامد محمد بن أحمد الشافعي (ت، ٨٩٣هـ/ ١٤٨٧م)، بذل النصائح الشرعية فيما على السلطان وولاة الأمور وسائر الرعية، تحقيق: سالم بن طعمه بن مطر الشمري، (الرياض، كلية الدعوة والعلوم، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ج٢، ص٤١٩.

(١) ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد (ت، ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تحقيق: ليفي بروفنسال، ط٢ (القاهرة، دار المكشوف، ١٣٧٦هـ/ ١٩٥٦م)، ج٢، ص٩٩؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٧٩-٨٢؛ مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعية بها بينهم، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (القاهرة/ بيروت، دار الكتاب المصري/ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص ص١١٧-١١٨.

(٢) الأمير عبد الرحمن بن معاوية: أبو المطرف عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الأموي المرواني، ولد سنة ١١٣هـ/ ٧٣١م بمدينة دمشق، وكان من أهل العلم، والعقل الراجح، والفهم الثاقب، ورعاً، فصيحاً، شاعراً بليغاً، طليق اللسان، كريماً، استطاع الخلاص من قبضة العباسيين في المشرق بعد سقوط الدولة الأموية عام١٣٢هـ/ ٧٤٩م، ودخل بلاد الأندلس وحده واستطاع أن يستولي على قرطبة في ذي القعدة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، ويعلن قيام الإمارة الأموية ببلاد الأندلس، وعرف بالداخل وبصقر قريش، توفى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م. ينظر: ابن حزم الأندلسي، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط٢، (بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ص٢؛ ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي القرطبي(ت، ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م)، العقد الفريد، تحقيق: عبدالمجيد الترحيني، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ج٥، ص ٢٢٩؛ ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي الطويل، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج٣، ص٣٥٦؛ مؤلف مجهول، تأريخ الأندلس، دراسة وتحقيق: عبدالقادر بوباية، ط٢(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، ص ص٢٠١-٢٠٢.

٣١٦هـ/ ٩٢٨م وهو العام الذي أعلن فيه الأمير (عبد الرحمن بن محمد)[١] (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) نفسه خليفة للمسلمين في بلاد الأندلس وتلقب بالناصر لدين الله، وتولى في عهد الإمارة ثمانية أمراء حكموا الإمارة حكماً وراثياً[٢].

ويوجد في هذا العهد مجموعة من العرفاء الذين تولوا وظائف عدة ومختلفة، وكان لهم أثر كبير وواضح في المهام التي كلفوا بها، ومن خلال المعلومات التي قدمتها المصادر عن هؤلاء العرفاء وجدنا بأن بعض العرافات التي ظهرت في عهد الإمارة قد استمرت في عهد الخلافة، والبعض منها لم نجد له ذكر في عهد الخلافة، فلا نعلم هل تم إلغاء هذه العرافة أم أن المصادر سكتت عن ذكرها، لا سيما أن غالبية العرفاء لم يكونوا من الشخصيات المعروفة لدى عامة الناس، وأن عملهم يشبه المهمة السرية التي يكلفون بها من قبل الأمراء، وهذا ما يوضح لنا سبب قلة المعلومات التي قدمتها المصادر عنهم.

وقد رتبتُ العرفاء في هذا المبحث وفق التسلسل الزمني للمعلومات الواردة عنهم في هذا العهد وكالآتي:

أولاً: عرفاء الجند.

إن نظام عرافة الجند في بلاد الأندلس يختلف وظيفياً عما كان سائداً في بلاد المشرق، حيث عرفوا بالتنظيم الحربي للدولة الإسلامية منذ نشأتها، فكانوا يقودون عشرة أشخاص، ويقاتلون بهم ضمن تشكيلات الجيش الإسلامي، وكانوا يتولون عرض أحوال الجند وأخبارهم على الأمير أو القائد، فضلاً عن مسؤوليتهم عن تجميع الجند عند إعلان النفير، فهم يشكلون حلقة الاتصال بين الدولة والقبائل، ويتولون توزيع الأرزاق والغنائم على مجموعاتهم، فضلاً عن ذلك أسندت إليهم مهام منها حفظ النظام والأمن، ومراقبة مثيري الفتن بين القبائل[٣].

(١) الأمير عبد الرحمن بن محمد: أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد (المقتول) بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط، امتلك مواهب كبيرة منذ سن مبكر من عمره، فكان فطناً، ذكياً، شهماً، صارماً، خلوقاً، جواداً، كريماً، عالماً، فقيهاً، أديباً، خطيباً، مشاركاً في فنون العلم والمعرفة، تولى الإمارة بعد وفاة جده الأمير عبد الله، سنة ٣٠٠ هـ/ ٩١٢م وهو ابن ٢٣ سنة، وهو أول من اتخذ لقب خليفة، وذلك في عام ٣١٦ هـ/ ٩٢٩ م وسُمّي بـ (الناصر لدين الله)، توفى سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١ م. ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها، تحقيق: إحسان عباس، ط٢(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج٢، ص١٩٣؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص ص١٩٩-٢٠٠؛ ابن الأزرق، إبراهيم بن عبد المؤمن بن أبي بكر (ت، ٨٩٦هـ/ ١٦٠٤م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، ط١ (بغداد، وزارة الأعلام، بلا. ت)، ج٢، ص٢٦٦؛ مجهول، تأريخ عبد الرحمن الناصر، قدم له: عدنان محمد آل طعمة، ط١ (دمشق، مطبعة الإنشاء، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢ م)، ص١٦٢.

(٢) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٣٥٦؛ مؤلف مجهول، تأريخ الأندلس، ص ص١٥٩ -١٦٠.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٧٩-٨٠؛ ابن جماعة الحموي، تحرير الأحكام، ص١٤٤؛ هندي، إحسان، الحياة العسكرية عند العرب، (دمشق، وزارة الثقافة والإرشاد

أما عرفاء الجند في بلاد الأندلس، فلهم اختصاصات ومهام متعددة ومختلفة بحسب ما يكلفون به من قبل الأمير أو قائد الجيش، فكانوا يقودون مجموعاتهم، ويقاتلون بها كمجموعة مستقلة عن أصناف الجيش بسبب خبرتهم الكبيرة في فنون الحرب وأساليب القتال وسرعة حركتهم ومباغتتهم للعدو[١].

ووضعت شروط ومؤهلات دقيقة فيمن يُختار لمهمة العريف، فلا بد من أن يتصف بالولاء المطلق، والإخلاص، والأمانة، والصدق، والشجاعة، والبأس، والإقدام، والذكاء والحنكة العسكرية، ومعرفته بفنون القتال وأساليبه وخططه[٢].

وأول إشارة لعرفاء الجند في فترة الإمارة كانت في عهد الأمير عبد الرحمن (١٣٨-١٧٢هـ/ ٧٥٥-٧٨٨م) عندما ولّى (العلاء بن مغيث)[٣] عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م عريفاً على جند (مدينة باجة)[٤]، وجعله مع جنده على ميسرة جيشه في المعارك التي خاضها الأمير لتثبيت إمارته[٥].

وسار الأمير (الحكم بن هشام)[٦]

القومي، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، ص٢٤٦.

(١) ابن حيان، المقتبس، نشر وتحقيق: شلميتا ف كورنيطي، (الرباط / مدريد، المعهد الإسباني العربي للثقافة، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ص ص١١٠-١١١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٨٠؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٩٩.

(٢) ابن جماعة الحموي، تحرير الأحكام، ص١٤٤؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ص١١٧-١١٨.

(٣) العلاء بن مغيث: العلاء بن مغيث اليحصبي الجذامي، أحد رجال قبيلة جذام القحطانية البارزين في بلاد الأندلس، وكان رجلاً شجاعاً، وقائداً، قاد ثورة ضد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م بمدينة باجة بتحريض ودعم من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، انتهت بفشلها ومقتله على يد جيش الأمير عبد الرحمن بنفس السنة وحمل رأسه ورؤوس قادته إلى مدينة القيروان ومكة المكرمة ومعها كتاب التولية من الخليفة العباسي. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٥١-٥٢؛ المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلسماني (ت، ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها ابن الخطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م)، ج٣، ص٣٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ص٩٣-٩٦.

(٤) مدينة باجة: تسمى باجة الأندلس، تقع غرب مدينة قرطبة بمسافة ٨٧ ميلاً، وهي من أقدم المدن الأندلسية التي بناها القياصرة، وبعد الفتح نزلها جند مصر. ينظر: الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبدالمنعم (ت، ٧٢٧هـ/ ١٣٢٦م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار العلم للطباعة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص٧٥.

(٥) ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني (ت، ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٢م)، الكامل في التأريخ، تحقيق: عبد الله القاضي، ط٢ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ج٥، ص١٤٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٥١-٥٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤١؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ص٩٣-٩٤.

(٦) الأمير الحكم بن هشام: أبو العاص الحكم بن الأمير هشام بن الأمير عبد الرحمن الداخل، ويعرف بالربضي، ولقبه المرتضى، ولد سنة ١٥٤هـ/ ٧٧٠م، وبويع بالإمارة في شهر صفر سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م يوم وفاة والده، وكان رجلاً، شجاعاً، مقداماً، مهيباً، فصيحاً، خطيباً لسناً، بليغاً،

(١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م)، على خطى جده في تثبيت النظام والاستقرار، والاستكثار من الجند والمماليك، ففي عهده شكل قوة طوارئ من الفرسان والجياد الصافنات بلغ تعدادها ألفي فارس مرابطة على شاطئ نهر الوادي الكبير بقرب قصر الإمارة بقرطبة، وخصص لهذه القوة دارين تتجمع بهِ، وجعل على كل دار عشرة من العرفاء، وقسم هذه القوة إلى سرايا، وكل سرية تتكون من مائة فارس، وعليهم عريف[١]، وكان ((... العرفاء يشرفون عليها وتعلف بين أيديهم، وينظرون في تعويض ما تعذر منه، لتكون معدة قائمة لما عسى أن يُفجأ من أمر يفزع إليه بها، فإذا كانت حركة كانوا كنفس واحد...))[٢].

وبالامكان تشبيه هذهِ القوة بقوات الرد السريع بالوقت الحاضر، لأنها دائماً مستعدة ومتجهزة لتتدخل بسرعة عند حدوث أي طارئ أمني في مختلف الأماكن والمدن، ولإخماد أي حركة تمرد تخرج بصورة مفاجئة على السلطة بقرطبة، فذكر ابن عبدربه (ت، ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) مهمة هذه القوة قائلاً: ((...وإذا بلغه عن ثائر ثار في طرف من أطرافه، عاجله قبل استحكام أمره، فلا يشعر حتى يحاط به...))[٣].

وللوقوف على آلية توظيف واستخدام هذهِ القوة، نذكر وصول أخبار إلى الأمير الحكم بأن (جابر بن مالك بن لبيد)[٤] والي (كورة البيرة)[٥] حاصر (مدينة جيان)[٦]، فدعا الأمير أحد عرفاء هذهِ

شاعراً مجيداً، أديباً، نحوياً، يتابع كل صغيرة وكبيرة بإمارته، وقرب أهل العلم، واستمرت ولايته ٢٧ سنة وتوفى سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١ م. ينظر: ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصر الأزدي (ت، ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، تأريخ علماء الأندلس، تحقيق: عزت العطار الحسيني، ط٢(القاهرة، مطبعة الخانجي، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ج١، ص١٢؛ ابن حزم الأندلسي، كتاب نقط العروس في تواريخ الخلفاء، تحقيق: إحسان عباس، ط٢(بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج ٢، ص٧٣؛ الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٠م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب ذي النباهة والشعر، (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م)، ص١٠؛ الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت، ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م)، بغية الملتمس في تأريخ رجال أهل الأندلس، (مجريط، مطبعة روخس، ١٣٠٢هـ/ ١٨٨٤م)، ص١٤.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٧؛ عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ط٤(القاهرة، مطبعة مصر، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧ م)، ج١، ص٢٥٠.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص ص١١٧-١١٨.

(٣) العقد الفريد، ج٥، ص٢٣٣.

(٤)[٥]لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

(٥) كورة البيرة: كوره أندلسية كبيرة، تقع جنوب شرق مدينة قرطبة، وبينهما تسعون ميلاً، وهي كثيرة الأشجار والأنهار والمعادن. ينظر: ياقوت الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت، ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، ط٢ (بيروت، دار صادر، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص٢٤٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٨.

(٦) مدينة جيان: مدينة أندلسية واسعة تقع شرق مدينة قرطبة، وتبعد عنها أحدى وخمسون ميلاً، ولها قرى كثيرة تزيد على ثلاثة آلاف قرية يربى فيها دود الحرير، وبها جنات وبساتين ومزارع. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢،

القوة، وأمره أن يجمع أفراد قواته التي تحت إمرته وأن يخرج إلى جابر، وأوصاه أن لا يُعلم أحد بأمر خروجه والجهة التي يقصدها، وعند خروجه استدعى عريف ثانٍ من عرفاء نفس القوة، وأمره بالخروج إلى جابر، ودعا عشرة عرفاء، وكلفهم بنفس المهمة كلاً على حدا فخرجوا متتابعين لا يعلم أحد منهم بقصد صاحبه، فوصلوا جميعاً في اليوم التالي لخروجهم، وأحاطوا بجابر بن مالك من جميع الجهات، وذكر ابن عبد ربه وصول العرفاء إلى جابر قائلاً: ((... فلم يشعر ابن لبيد حتى تساقطوا عليه متساوين، فلما رأى ذلك عدوّه سقط في أيديهم وظنوا أن الدنيا قد حشرت لديهم، فولوا مدبرين...))[1]، ودخل العرفاء إلى المدينة وقتلوا جميع من اشترك في هذا العصيان، وأتوا برؤسهم إلى الأمير الحكم في اليوم الثالث من العصيان[2].

وأورد لنا صاحب كتاب أخبار مجموعة رواية عن أحد عرفاء هذهِ القوة، ذكرت بأن الأمير الحكم الربضي قد استدعاه، قال: فدخلت عليه وهو جالس على سكون في بعض صحون القصر، وقال لي: أمجتمعون أصحابك؟ قلت: نعم أكرم الله الأمير، قال: أتعرف فلاناً، قلت: نعم، قال: فاتني برأسه وإلا والله فرأسك مكانه، وخذ من الحرب في أجد ماأخذ، فلما وليت ناداني، فانصرفت إليه، فقال إني غير بارح من مقعدي هذا منتظر لك، فتعجبت من تأكيده عليّ وتحذيره لي، وخرجتُ من فوري حتى قدمت عليه، فوجدته متحرزاً، صعب المرام، فما أعلم أني لقيت من شدة الحرب في أحد ما لقيت فيه، ولقد كدت أهم بالانحلال منه، فإذا ذكرت قوله: وإلا فرأسك والله مكانه لم أجد بداً من مناجزته، حتى أظفرني الله بهِ، فقدمت إلى الأمير برأسه في اليوم الرابع، فوجدته قاعداً في المكان الذي فارقته فيه، فأخبرني الفتيان أنه لم يقم عنه بعد مفارقتي إياه إلا لوضوء أو صلاة[3].

وهكذا استطاع الأمير الحكم بحزمه ودهائه وشدته وبقوات العرفاء المرابطين جوار قصر الإمارة، والقوات العسكرية الأخرى، أن يثبت السلطة والاستقرار في البلاد، وأن يحميها من مخاطر المتمردين والطامعين والأعداء.

وفي عام ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م، خرج أهل (مدينة

ص١٩٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٨٣.

(١) العقد الفريد، ج٥، ص٢٣٣.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص ص١١٧-١١٨؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٥٠.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ص ١١٩-١٢٠

طليطلة)[1] عن طاعة الأمير (محمد بن عبد الرحمن)[2] (٢٣٨-٢٧٣هـ/ ٨٥٢-٨٨٦م) فأعلنوا تمردهم على السلطة المركزية بقرطبة فأرسل إليهم الأمير جيشاً بقيادة عريف الجند (مسعود بن عبد الله)[3]، فحاصر المدينة، وتمكن من اقتحامها، وأعاد الأمور فيها إلى وضعها الطبيعي[4]، ويذكر ابن عذاري (كان حياً سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٦م) بأن العريف مسعود: ((... كَمَّن لهم الكمائن، فقتلهم قتلاً ذريعاً، وبعث إلى قرطبة بسبعمائة رأس من رؤوس أكابرهم...))[5].

وأعلن (عمروس بن يوسف)[6] عامل الأمير محمد على (مدينة وشقة)[7] تمرده في عام

(١) مدينة طليطلة: مدينة أندلسية كبيرة وحصينة لها أسوار منيعة، تقع شرق قرطبة وتبعد عنها مسير أربعة أيام، وتسمى مدينة الملوك، لأنها كانت عاصمة ملوك القوط الغربيين، وسكن بها العرب والبربر والموالي بعد الفتح الإسلامي، واستولى عليها النصارى عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. ينظر: اليعقوبي، أحمد بن إسحاق أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح (ت، بعد ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م)، البلدان، ط١(بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص١٩٤؛ ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيدالله بن عبد الله (ت، نحو٢٨٠هـ/ ٨٩٣م)، المسالك والممالك، (بيروت، دار صادر أفست ليدن، ١٣٠٧هـ/ ١٨٨٩م)، ص٨٩؛ الأصطخري، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (ت، ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م)، المسالك والممالك، (بيروت، دار صادر، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ص٤٦.

(٢) الأمير محمد بن عبد الرحمن: أبو عبد الله محمد بن الأمير عبد الرحمن بن الأمير الحكم الربضي، ولد بمدينة قرطبة سنة ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م، وكان من أهل الحديث، محباً للعلوم، عارفاً، فصيحاً مفوهاً، فقيها، حسن السيرة، عاقلاً، ذكياً، ذا بديهية وروية، حليماً، محتملاً، كاظماً غيظه، بويع بالإمارة ليلة وفاة والده الأمير عبد الرحمن من سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م، ولقبه الأمين، وتوفى في سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م. ينظر: ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز بن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأندلسي (ت، ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، تأريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط٢ (القاهرة/ بيروت، دار الكتاب المعربي/ دار الكتاب اللبناني، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م)، ص٨٦؛ ابن حيان، المقتبس، حققه وقدم له وعلق عليه: محمود علي مكي، (القاهرة، لجنة إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص٢٥؛ الروحي، أبو الحسن علي بن محمد بن أبي السرور بن عبد الرحمن (كان حياً سنة ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م)، كتاب بلغة الظرفاء في ذكر تواريخ الخلفاء، تقديم وتحقيق: محمد زينهم محمد عزب، (مصر، مكتبة الثقافه الدينية، بلا.ت)، ص٨٢؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٧٣.

(٣) لم أقف على ترجمته فيما اطلعت عليه من مصادر.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص٩٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٨.

(٥) البيان المغرب، ج ٢، ص٩٦.

(٦) عمروس بن يوسف: عمروس بن يوسف الوشقي المولدي، من كبار قادة الأمير الحكم الربضي في الثغور الشرقية ووواليها، وكان ذا وجاهة وبأس وشجاعة، وولاه الأمير الحكم مدينة طليطلة ليخمد ثورات أهلها المتكررة ضده، واستطاع أن يضبط المدينة ويعيدها إلى الطاعة. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٣٢٠، ص ص٣٦٠ -٣٦١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٦٣.

(٧) مدينة وشقة: مدينة أندلسية حصينة، لها سوران من حجر، بينها وبين سرقسطة خمسون ميلاً، وهي ذات متاجر وأسواق عامرة وصنائع قائمة. ينظر: المنجم، إسحاق بن الحسين (ت، ق ٤هـ/ ١٠م)، آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص١٠٧؛ ياقوت الحموي، معجم

٢٥٦هـ/ ٨٦٩م، فأمر الأمير بتحشيد الحشود والعدة فجمع جيشاً كبيراً، أوكل قيادته إلى أحد عرفاء الجند يعرف بعبدالأعلى، فتوجه إلى وشقة، وعندما علم عمروس بقدوم العريف عبدالأعلى على رأس جيش كبير هرب من المدينة، ودخل العريف عبدالأعلى المدينة وألقى القبض على حفيد عمروس وقتله وعلقه بسور المدينة[١].

ومن الحادثتين المتقدمتين نرى بأن عريف الجند في عهد الأمير محمد كان يقود جيش بالكامل، ويقمع التمردات، ويعيد فرض الأمن والاستقرار في المدن المتمردة مما يعكس لنا بأن عريف الجند في عهد الأمير محمد كان بمنزلة قائد الجيش، ولم يكن يقود مجموعة محددة من المقاتلين خلاف ما كان معمول به في عهد الأمير الحكم الذي كان فيه عريف الجند يقود مائة فارس.

إلا أنه في عهد الأمير (المنذر بن محمد)[٢] (٢٧٣-٢٧٥هـ/ ٨٨٦-٨٨٨م) أصبح عريف الجند يقود خمسة عشر فارساً، إذ تبين ذلك من خلال نص أورده ابن عذاري بأن المتمرد (عمر بن حفصون) [٣] عمل خديعة للأمير المنذر للتخلص من محاصرته بمدينة طليطلة، واتبع مع الأمير طريق المكر والخديعة، وسأل الأمير الأمان، وأظهر رغبته في السكن مع أهلهُ وأبنائه بمدينة قرطبة، فأرسل له الأمير كتاب الأمان، فطلب من الأمير المنذر بأن يرسل له مائة بغل كي تحمل أغراضه وأهله إلى قرطبة، فأمر الأمير بأن ترسل له البغال، وأرسل معها عشرة من عرفاء الجند على قوة مكونة من مائة وخمسين فارساً إتماما للإكرام، ووصل العرفاء والبغال إلى (مدينة بربشتر) [٤] مقر عمر بن حفصون، وانسحب الجيش الذي كان

البلدان، ج٥، ص٣٧٧.

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج ٢، ص١٠٠.

(٢) الأمير المنذر بن محمد: أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي، ولد سنة ٢٢٩هـ/ ٨٤٣ م، كان من أهل العقل والسخاء والإكرام لأهل العلم والصلاح، عزيز النفس، شهماً، شجاعاً، مقداماً، صارماً، حازماً، وكان والده يعتمد عليه منذ صغره في قيادة الجيش وإدارة الدولة، تولى الإمارة في شهر ربيع الأول سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م، وتوفى وهو في حملة على مدينة بربشتر سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م، وكانت ولايته سنتين إلا أيام. ينظر: ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٣-١٤؛ ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص١١٣؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ط٣ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص٣٣؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢١٥.

(٣) عمر بن حفصون: أبو جعفر عمر بن حفص بن عمر بن جعفر، يعرف بابن حفصون لقب أبيه، من مسالمة أهل الذمة، وأصبح زعيم الموالدين في الأندلس، كان رجلاً شجاعاً، جلداً، متمرداً أتعب حكام الأندلس بتمرده وثوراته عليهم، أعلن ثورة سنة ٢٦٧هـ/ ٨٨٠م في مدينة طليطلة على الأمير محمد واستولى على حصن وعلى عدة مناطق في الأندلس، توفى سنة ٣٠٦هـ/ ٩١٨م. ينظر: ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص ص٩٠-٩٤؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٠١؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٤٠٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص١٠٥-١٠٦.

(٤) مدينة بربشتر: من مدن الثغور الواقعة شرقي الأندلس، معروفة بسعتها وحصانتها ومنعتها وكثرة حصونها

يحاصر طليطلة، فخرج عمر بن حفصون من طليطلة وتوجه إلى بربشتر، وهاجم العرفاء وقتلهم واستولى على البغال وعاد إلى العصيان والخروج عن الطاعة[1].

مما تقدم يتضح بأن تعيين وتكليف عرفاء الجند يكون مرتبط بالأمير مباشرة، وهو الذي يحدد لهم الأهداف والمهام والواجبات التي يقومون بها، أما في عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م)، فأنه منح قائد الجيش الأندلسي صلاحية أن يولي عرفاء الجند أثناء قيامه بمهام عسكرية، وأن يحدد لهم واجباتهم ومهامهم، ومن ذلك نذكر ما حدث في عام٣٠٠هـ/ ٩١٢م، عندما كلف الأمير عبد الرحمن بن محمد حاجبه ومولاه (بدر بن أحمد)[2] بقيادة جيش كبير لفتح مدينة جيان التي كانت تحت سيطرة الثائر عمر بن حفصون، فعندما وصل الجيش إلى المدينة اختار قائد الجيش مجموعة من الفرسان، وجعل (محمد بن فروة) [3] عريفاً عليهم كونه خبيراً بشؤون الحرب عارفاً بأساليب وفنون القتال، وكلفه بمهاجمة حصن مارتش أحد حصون مدينة جيان، واستطاع هذا العريف فتح الحصن والسيطرة عليه، واتخاذه قاعدة عسكرية، وقطع من خلاله خطوط الإمدادات والعون لعمر بن حفصون[4].

واحتفظ عرفاء الجند بمكانتهم المهمة عند الأمير عبد الرحمن بن محمد(٣٠٠-٣٥٠هـ / ٩١٢-٩٦١م)، إذ كان يكلفهم بمهام عديدة خاصة في بداية حكمه الذي شهد اضطرابات وفوضى سياسية وأمنية، واستطاع هذا الأمير الشاب الاعتماد على عرفاء الجند من إعادة الأمن والاستقرار إلى ربوع بلاد الأندلس، فجعلهم الأمير يرافقونه في حملاته وغزواته العسكرية التي يقودها بنفسه، ومن ذلك أنه جعل موسى بن ترجمان، ومخارق بن يحيى عرفاء على جند دمشق في كورة البيرة، وكانت هذه أول تولية لعرفاء الجند من قبل الأمير عبد الرحمن، وأمرهما بمرافقته مع جنودهما في أول غزواته على حصن المنتلون أحد حصون مدينة جيان عام ٣٠٠هـ/ ٩١٢م، واستطاع الأمير فتح الحصن في شهر رمضان من السنة نفسها، وقد قاتل هذان العريفان بشجاعة وبسالة فائقة أثارت

وقلاعها. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٧٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص٩٠-٩١.

(١) ابن عبدربه، العقد الفريد، ج٥، ص٢٣٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١١٨؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٩٣.

(٢) بدر بن أحمد: أبو الغصن بدر بن أحمد الصقلبي، كان وصيفاً للأمير عبد الله، وعمل له في العديد من الخطط، وعندما تولى الأمير عبد الرحمن بن محمد الإمارة أخذ له بدر البيعة العامة والخاصة، وأصبح من مواليه ورجاله المخلصين، والثقات المقربين والمدبر لدولته، ولاه الأمير الوزارة والحجابة، وقيادة الجيوش والخيل، وكان رجلاً حازماً، شجاعاً، ذكياً، كثير الصدقة، توفى سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص١٧٣؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص ص٢٥٢- ٢٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٥٨، ص١٦٨، ص١٨٢.

(٣)لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٦٥.

إعجاب الأمير بهما[١].

وعندما خرج الأمير عبد الرحمن بن محمد في عام ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، على رأس جيش كبير إلى (مدينة مالقة)[٢] الخارجة عن طاعته، وبعد أن استطاع من دخولها والسيطرة عليها ورتب الأمور فيها أمر بتشكيل فرق من الفرسان، وعرف عليها عرفاء الجند، وأمرهم بالتوجه إلى الحصون المحيطه بمدينة مالقه وفتحها، فاستطاع العرفاء من السيطرة على الحصون وقتل اتباع عمر بن حفصون الموجودين بها وأرسلوا رؤوسهم إلى مدينة قرطبة[٣].

وبذلك يتضح بأن العرفاء كانوا يكلفون بمهام خاصة وسريعة بمعزل عن الجيش، لأن تحركاتهم تكون سريعة ومباغتة للأعداء، مما يوقع في الأعداء عامل الصدمة والمباغتة، وهذهِ من العوامل المهمة والرئيسة في حسم المعارك، ففي عام ٣١٤هـ/ ٩٢٦م أرسل الأمير عبد الرحمن بن محمد جيشاً لمحاصرة (سليمان بن عمر بن حفصون)[٤] بـ(حصن ببشتر)[٥]، وكلف اثنين من عرفاء الجند، وهما (سعيد بن بعلي)[٦] المعروف بالشفة، والعريف (محمد بن يونس)[٧]، بأن يكونا خارج تشكيلات الجيش المحاصر للحصن، وأن ينصبا لسليمان الكمائن خشية هروبه، وفعلاً ضُرب حصار على الحصن، وبث العريفان عيونهم كي يراقبوا كل من يخرج من الحصن، واستطاع سليمان الهرب، وتمكن العريفان من تتبعه واللحاق بهِ، ورماه العريف محمد بن يونس بالسهام وطعنه بالرماح إلى أن سقط من فرسه، وقَدم إليه العريف سعيد بن علي، وحز رأسه، وقطع يديه، وحمل العريفان رأسه وجثته

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٥٨.

(٢) مدينة مالقة: مدينة أندلسية عامرة تقع على شاطئ البحر المتوسط بين الجزيرة الخضراء والمرية، وهي مدينة حصينة، لها سور صخري قوي ومنيع يفصلها عن البحر، ومشهورة بزراعة الرمان والتين. ينظر: كاتب مراكشي (ت، ق٦هـ/ ١٢م)، الاستبصار في عجائب الأمصار، (بغداد، دار الشؤون الثقافية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م)، ص١٩٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٤٣؛ ابن عبدالحق، صفي الدين عبدالمؤمن بن شمائل القطيعي البغدادي الحنبلي (ت، ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١ (بيروت، دار الجيل، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م)، ج٣، ص١٢٢١؛ ابن الخطيب، معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار، (القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ص٨٧-٩٠.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص٨٦-٨٧.

(٤) سليمان بن عمر بن حفصون، كان رجلاً شجاعاً باسلاً، مشهوراً بغدره وعدم انضباطه، ونقض الاتفاقات، وعمل عاملاً لأبيه على حصن اشتنين، ونازع أخيه على أملاكه، ووصل به الحال إلى مقاتلة أبيه، وانتهى الأمر به إلى القتل سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٦م على يد جيش الأمير عبد الرحمن بن محمد، وتم تقطيع جثته والتمثيل بها. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص١٣٠-١٣١، ص ص٢٠٦-٢٠٧؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٧١، ص١٨٢، ص١٩٢.

(٥) حصن ببشتر: حصن منيع يقع جنوب قرطبة، بينهما ثمانون ميلاً، وله قرى كثيرة وحصون منيعة، وحوله الكثير من المياه والأشجار. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٣٣٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٧٩.

(٦) لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

(٧) لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

ويديه إلى الأمير عبد الرحمن بمدينة قرطبة، فأمرهما بأن يعلقاه على أخشاب عالية في باب السدة بقرطبة وهو الباب الرئيس لقصر الخلافة بمدينة قرطبة، وشكر العريفين وكافأهما على عملهما هذا[1].

وأورد ابن حيان (ت، ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) رسالة الأمير عبد الرحمن بن محمد إلى عموم مدن الأندلس وعماله يذكر بها ما فعله بحصن ببشتر بعد أن تمكن من السيطره عليه بعد مقتل سليمان بن عمر بن حفصون، جاء فيها جزءً يخص عرفاء الجند قال فيها: ((... وأمرنا الوزير ابن حدير بإخراج العرفاء عنهم، الذين كانوا أووا إليهم، وأكثروا عددهم، وحددنا لهم تميزهم وإبعادهم عنهم، وألا يسكنوا في قراهم ولا ينبسطوا ببسيطهم، وأن يذهبوا على وجوههم ويتشتتوا في الأرض العريضة، متفرقين إلى أصولهم منها، التي منها أتوا إليهم، ومن قبلها اجتمعوا لديهم، وعنها تألفوا بهم تقليلاً لعددهم، وتقليلاً لكثرتهم، وتقليصاً لجماعتهم، فتفرقوا منقطعين إلى جهاتهم، ...))[2].

من النص المتقدم يتبين بأن عرفاء الجند في عهد الأمير عبد الرحمن بن محمد كان يتم تجميعهم من المدن الأندلسية المختلفة، وخاصة العرفاء المتميزين بالبأس والشجاعة وانضباط مجموعاتهم التي تقاتل تحت رايتهم، وبالذات عندما يخرج الأمير لقيادة حملة عسكرية لقمع تمرد أو لفتح مدينة، وبعد انتهاء العمليات العسكرية يرجع عرفاء الجند كلاً إلى المدينة والمكان الذي أتى منه، لتكون قواتهم منتشره في مختلف المدن، ليكونوا مستعدين لكل طارئ قد يحدث في مكان آخر، وعلى ما يبدو أن مهمتهم قتالية وحربية صرفه، لأنه بعد فتح المدينة والسيطره عليها أخرجهم الأمير وأعادهم إلى أماكنهم، كون مهمتم قد انتهت.

ثانياً: عرفاء البربر.

وهم زعماء قبائل البربر وقادتهم، وكانوا يقودون قبائلهم في الغزوات والمعارك، ويقودون الكتائب والفرق البربرية في الجيش الأندلسي، ويشرفون على تدريبهم وتجهيزهم وتنظيمهم وتوزيع الأرزاق عليهم، ويعرفون قائد الجيش بأحوال جماعتهم، وقد تميز هؤلاء العرفاء بالشجاعة، والفروسية، والبأس، والشدة، والإقدام، والدهاء، والذكاء[3].

وظهر منصب عريف البربر منذ بداية الفتح الإسلامي لشبه الجزيرة الأندلسية، إذ تواجد البربر بأعداد كبيرة في الجيش الإسلامي الذي قاده (طارق

(١) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٩٢.

(٢) المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص٢٣٥-٢٣٦

(٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر والمغرب، ص٢٣٥؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤، ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص١٩٠؛ حسين، حمدي عبدالمنعم محمد، ثورات البربر في الأندلس، (الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص١٤١.

بن زياد)[1] وتحملوا العبء الأكبر بهذا الجيش[2]، فعندما تحدث ابن عبدالحكم عن فتح الأندلس وبالذات عن عبور موسى بن نصير إلى الأندلس ذكرهم قائلاً: ((... خرج موسى بن نصير إلى الأندلس في رجب سنة ثلاث وتسعين بوجوه العرب والموالي وعرفاء البربر حتى دخل الأندلس...))[3].

وأكد الحميدي (ت، ٤٨٨هـ/ ١٠٩٠م) ما ذهب إليه ابن عبدالحكم، فقال: ((.. وخرج معه - أي موسى بن نصير - وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر في عسكر ضخم ووصل من جهة المجاز إلى الأندلس...))[4].

وفي عهد الإمارة استمر الاعتماد على عرفاء البربر في الشؤون العسكرية، إذ أولاهم الأمير عبد الرحمن الداخل اهتماماً كبيراً، واعتمد عليهم منذُ أن وطأت أقدامه أرض الأندلس، فجمع فرسان البربر وشكل منهم قوة عسكرية، وجعل شخصاً اسمه (إبراهيم بن شجرة)[5] عريفاً عليهم، ودخل بهم (معركة المصارة)

(١) طارق بن زياد: طارق بن زياد بن عبد الله بن ولغو النفزي البربري، قيل انَّه مولى للخليفة الأموي الوليد بن عبدالملك، وقيل انَّه مولى موسى بن نصير، ولاه والي المغرب موسى بن نصير على مدينة طنجة سنة ٨٩هـ/ ٧٠٧م، وعهد إليه مهمة فتح الأندلس سنة ٩٢هـ/ ٧١٠م، وإليه ينسب جبل طارق. ينظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، تأريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ط١(بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج٢٤، ص٤١٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٥؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٥٤؛ المشهداني، أنيس محمد جاسم، المقابر الإسلامية في المدن الأندلسية دراسة في مواقعها وتراجم الأعيان المدفونين بها، ط١(بغداد، مطبعة انوار دجلة، ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م)، ص ص١٤-١٥.

(٢) ابن عساكر، تأريخ دمشق، ج٢٤، ص ص٤١٩-٤٢٠؛ المراكشي، محي الدين عبدالواحد بن علي التميمي (ت، ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م)، المُعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط١(بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م)، ص١٦؛ ص١٧؛ الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد السلاوي (ت، ١٣١٩هـ/ ١٩٠١م)، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق: خالد الناصري ومحمد الناصري، (الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ج١، ص١٥٥؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٩.

(٣) فتوح مصر والمغرب، ص ٢٣٥.

(٤) جذوة المقتبس، ص ٤.

(٥) إبراهيم بن شجرة: إبراهيم بن شجرة البرنسي المصمودي، أحد زعماء البربر في بلاد الأندلس، بايع الأمير عبد الرحمن الداخل في أول دخوله الأندلس، وجعله عريفاً وقائداً على فرسان البربر في جيشه، إلا أنه خلع بيعته وثار عليه، وانتهت ثورته بمقتله. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ٢٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٧؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص ٣٤٧.

[1] ضد آخر ولاة الأندلس (عبد الرحمن الفهري)[2] عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وقد قاتلوا ببسالة وشجاعة، وكانوا من أسباب انتصار الأمير عبد الرحمن في هذهِ المعركة[3].

وبعد دور عريف البربر في معركة المصارة لم يرد ذكر لعرفاء البربر طيلة عهد الإمارة، ولا نعلم هل تم إلغاء هذا المنصب أم تم دمج البربر في صنوف الجيش الأندلسي وإلغاء هذهِ الوظيفة، أو أن المصادر سكتت عن بيان دور عرفاء البربر متعمدة، على الرغم من أن عريف البربر ظهر مجدداً في عهد الخلافة، وهذا ما سأبينه لاحقاً.

ثالثاً: عرفاء السودان.

تواجدت طائفة السودان في بلاد الأندلس منذُ عمليات الفتح الأولى، إذ كانوا مع الجيش الذي أرسله موسى بن نصير لنجدة طارق بن زياد عام ٩٢هـ/ ٧١١م، والبالغ تعداده خمسة الآف مقاتلاً منه سبعمائة رجل من السودان[4].

وعندما أعلن الأمير عبد الرحمن الداخل إمارته في الأندلس عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، قام بتجميع طائفة السودان حوله، وأمر بشراء أعداد منهم، وجعلهم ضمن مماليكه الخاصين، وشكل منهم قوة عسكرية خاصة عرفت باسم الخرس وبلغ تعدادهم ثلاثة الآف فارس، كي يستعين بهم عند الضرورة على العرب والخارجين على سلطته وطاعته، وتتميز طائفة العبيد السودان بضخامة الأجسام، والشدة، والقسوة، والجهل المطبق[5]، وقد عُرف شخص منهم بقوته وشجاعته وإخلاصه وطاعته للأمير عبد الرحمن

(١) معركة المصارة: وتسمى المسارة، وهي من المعارك الحاسمة في تأريخ الأندلس حدثت في العاشر من شهر ذي الحجة سنة ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، بين جيش والي الأندلس يوسف الفهري، وبين جيش الأمير عبد الرحمن الداخل، في صحراء المصارة غرب مدينة قرطبة، انتهت بانتصار حاسم للأمير عبد الرحمن الداخل ودخوله إلى قرطبة وإعلانه قيام الإمارة الأموية بها، فهذهِ المعركة انهت عهد الولاة وأعلنت قيام عهد الإمارة في بلاد الأندلس. ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٣١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٤٦-٤٧؛ المقري، نفح الطيب، ج٣، ص٣٣، ص٥٢.

(٢) يوسف الفهري: أبو محمد يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب الفهري، كان رجلاً عاقلاً، شجاعاً، قائداً، شريفاً، جليلاً، اديباً فصيحاً، تولى ولاية الأندلس سنة ١٢٩هـ/ ٧٤٦م بإجماع أهل الأندلس عليه، وانفرد بحكم البلاد، وشهد عهد الفتن وكثرة النزاعات بين القبائل العربية، وقتل على يد الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص١٢؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٧٦؛ المراكشي، المعجب، ص ص٢٢-٢٣؛ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبدالسلام الهراس، (بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ج١، ص١٣٢؛ الحلة السيراء، ج٢، ص ٣٤٧-٣٥٠.

(٣) مجهول، أخبار مجموعة، ص ٨١.

(٤) مجهول، أخبار مجموعة، ص١٧؛ كولان، ج. س، الأندلس، لجنة ترجمة دائرة المعارف: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط١(بيروت/ القاهرة، دار الكتاب اللبناني/ دار الكتاب المصري، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٩١.

(٥) ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الثقافة، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ج٧، ص٥٢؛ كولان، الأندلس، ص٩١.

الداخل يعرف باسم بزيغ، فعينه الأمير عريفاً عليهم، وعُرف بعريف السود أو عريف السودان ببلاد الأندلس، وكان بزيع هذا يتولى مهمة تدبير شؤون هذهِ الطائفة وعوائلهم، وينظم أمورهم، ويشرف على تدريبهم وتطوير مهاراتهم القتالية، وقبل هذا التأريخ لم يكن لهم عريف[١].

واعتمد الأمير عبد الرحمن في إدارة جنانه وبساتينه الخاصة على السودان لخبرتهم في شؤون الفلاحة، والأعمال الشاقة والمرهقة[٢].

وبعد وفاة عريف السودان بزيغ، ولّى الأمير عبد الرحمن ابنه الحارث عريفاً على السودان، وكلفه بمهام محاربة خصومه والخارجين على طاعته، وقد أبلت هذهِ الطائفة في الدفاع عن الإمارة في الأندلس، وأثبتت ولاءها التام للأمير عبد الرحمن الداخل[٣].

رابعاً: عرفاء الخصيان الصقالبة.

أكثر حكام الأندلس من الحصول على الخصيان (الصقالبة)[٤] في عهد الإمارة، وتم استخدامهم كحرس خاص للأمير وخدم في القصر، وأصبحوا مسيطرين على شؤون القصر والقضايا الخاصة بالأمير وأهل بيته، وبسبب أهميتهم وكثرة أعدادهم في القصر فقد جُعل على كل مجموعة منهم عريف حسب اختصاصهم، والمهام المكلفون بأداءها، وعُرف باسم عريف الخصيان الصقالبة ينظم شؤونهم ويدبرها، ويوزع المهام والواجبات عليهم، ويشرف على إنجاز المهام الموكلة إليهم، وأصبح من أقرب الأشخاص إلى الأمير الأندلسي، وكان عرفاء الصقالبة يتميزون بالفروسية، والشجاعة، والإقدام، والقوة الجسمانية، فضلاً عن الأمانة، والطاعة المطلقة للأمير[٥].

واعتمد ولاة الأندلس على عرفاء الخصيان الصقالبة كثيراً، فهذا الأمير عبد الرحمن الداخل اعتمد عليهم، ووثق بهم منذُ أيام حكمه الأولى فكان عندما ترد إليه الأموال من النواحي يكلف العرفاء الخصيان

(١) ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٩، ص٦٠؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص٩٩؛ دوزي، رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي، ط١ (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٤٠٠-١٤٢١هـ/ ١٩٧٩-٢٠٠٠م)، ج٧، ص١٨٥.

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ج ١، ص١٤٩.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٨٢.

(٤) الصقالبة: أحد عناصر المجتمع الأندلسي تم جلبهم إلى بلاد الأندلس، وهم أطفال من بلاد الفرنجة واللونبارد وحوض الدانوب، ومن مختلف مناطق البحر المتوسط، وتتم تربيتهم تربية إسلامية وعسكرية وإدارية، ويعملون في قصور الإمارة والخلافة، وشكلت منهم فرق عسكرية خاصة لحراسة الأمراء، وأوكلت لهم مناصب عسكرية عليا في الدولة، وكلفوا بمهام كثيرة، وكان يطلق عليهم لقب (الخرس) لعدم معرفتهم بالعربية. ينظر: ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن البغدادي الموصلي (ت، بعد ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)، صورة الأرض، (بيروت، دار صادر، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م)، ج١، ص١١٠؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص٢٢٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٦١؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٥٠.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص٢٠٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص١٤٥.

الصقالبة داخل القصر بعدها وتدوينها في سجلات خاصة لديهم قبل أن يتم إرسالها إلى بيت المال[1].

كما أن الأمير محمد بن عبد الرحمن اتخذ من الصقالبة حرساً خاصاً له، فكان عرفاء الصقالبة الخصيان يحيطون بموكب الأمير عند الخروج من القصر، ويشددون الحراسة عليه، ولا يسمحون لأحد بالاقتراب منه، إلا بإذن الأمير[2]، يبدو أنهم كانوا يقومون بمهمة أمنية تتمثل بالدفاع عن الأمير والذب عنه.

خامساً: عريف أهل الذمة.

هو الشخص المسؤول عن أهل الذمة ببلاد الأندلس، ورئيسهم، وقائدهم، والقيم بأمورهم، ويقوم بتعريف الأمير بأحوالهم، ويكون مسؤولاً عن استيفاء حقوق الدولة منهم، ويكون من الشخصيات المتنفذة في قومه، وكلامه مسموع عندهم، ويتمتع بالأمانة والعدل، لأنه مأمون على قومه[3].

واهتم حكام الأندلس منذ الفتح الإسلامي بتنظيم شؤون وأحوال أهل الذمة، فجعل عليهم عريفاً يتولى مهمة تسجيل أسمائهم وأنسابهم كي يعرف الأمير من يتوفى، ومن أسلم أو غاب منهم، ويحصيهم عند دفع الجزية، وأُطلق على مَنْ يتولى هذهِ الوظيفة عريف أهل الذمة[4].

وحرص أمراء الأندلس منذُ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل على تنظيم شؤون أهل الذمة منذ الأيام الأولى لدخوله الأندلس، فأوجد ديواناً خاصاً لإدارة شؤونهم الإدارية الخاصة يعرف بالقماسة، ومن يتولاه يطلق عليه القومس، ويكون عريف أهل الذمة ببلاد الأندلس كافة، ويتم تعينه من قبل الأمير الأندلسي وباقتراح وموافقة أبناء جلدته، وأول من تولى هذا المنصب هو شخص يعرف بـ(أرطباس)[5]

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص٢٢٣.

(٢) الخلف، سالم بن عبد الله، نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس، ط١(المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ج١، ص٢٧٧.

(٣) ابن الدلائي، أبو العباس أحمد بن عمر بن أنس بن دلهاث العذري (ت، ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق: عبد العزيز الأهواني، (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م)، ص١٠٢؛ عبدالمجيد، محمد بحر، اليهود في الأندلس، (القاهرة، الهيئة العربية المصرية العامة للتأليف والنشر/ دار الكتاب العربي، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص٩٨؛ أبو عبيه، عبدالمقصود عبدالحميد، الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٩٦١.

(٤) ابن جماعة الحموي، تحرير الأحكام، ص٢٥٢.

(٥) اختلفت المصادر في اسمه فعرف بأرطباس وأرطباش وأرطبان ابن غيشطة من أبناء ملوك القوط الغربيين، كان رجلاً عاقلاً عالماً داهيةَ ثرياً يمتلك الكثير من القرى والأملاك الواسعة، وقد أكرمه حكام الأندلس، وكانوا يستشيرونه في أمور البلاد. ينظر: ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص ص٢٩-٣١، ص ص ٥٧-٦٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٠؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت، ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار صادر، ١٣١٩هـ/ ١٩٧١م)، ج٤، ص٣٧٠؛ المقري، نفح

الذي كان له مجلس فخم مهيب يتوسطه كرسي مرصع بالذهب والفضة، ويحضر مجلسه وجوه العرب وعليّة القوم طلباً لكرمه وسعياً لوصاله[1]، وهذا المنصب من الوظائف الحكومية التي تتولى مهمة الإشراف على الشؤون المدنية لنصارى الأندلس، وجباية خراج أراضي الصلح، وجمع الجزية التي يدفعها النصارى، ويمثل أهل الذمة أمام السلطة السياسية والقضائية، ويحكم بين أبناء طائفته فيما يقع بينهم من مشاكل، ويساعد عريف أهل الذمة عدد من الموظفين وجميعهم من رؤساء أهل الذمة[2]، ويكونوا: ((... أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة، ودهاء، ومداراة، ومعرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم...))[3].

وذكر ابن الخطيب (ت، ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) خلال عهد الإمارة، كان هناك شخصاً يعرف بابن القلاس بمدينة غرناطة عريفاً على نصارى المدينة ويتولى أمرهم، ويدير شؤونهم، وكانت له شهرة وصيت وجاه عند أمير مدينة غرناطة المسلم[4].

كما اهتم أمراء الأندلس بتنظيم شؤون الطائفة اليهودية، وجعلوا عليهم عريفاً منهم عرف بالناسي، ويكون مشرفاً على كل شؤون اليهود، ويعين من قبل الأمير بعد أخذ موافقة قومه عليه، ففي عهد الأمير (هشام بن عبد الرحمن)[5] (١٧٢-١٨٠هـ/ ٧٨٩-٧٩٦م)، ولّي شخص من أعيان اليهود اسمه الحجاج بن المتوكل اليهودي، منصب ناسي اليهود أي عريفهم، وكلفه بالإشراف على شؤون طائفة يهود (مدينة إليسانة)[6]، وجميع الجزية منهم لتسليمها إلى بيت مال المسلمين[7].

الطيب، ج١، ص ص٢٦٦-٢٦٨.

(١) ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص ص٥٨-٥٩.

(٢) ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص٥٨.

(٣) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢١.

(٤) الإحاطة، ج١، ص٢١.

(٥) الأمير هشام بن عبد الرحمن: أبو الوليد هشام بن الأمير عبد الرحمن الداخل بن معاوية، كان فصيحاً لسناً شاعراً حليماً عالماً فاضلاً حازماً راغباً في الجهاد والخير محباً لأمور البر مكثراً للصدقات مقرباً للعلماء والصلحاء، تولى الإمارة بعد وفاة والده الأمير عبد الرحمن الداخل سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٩م، ولقب بالرضي، وتوفى سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. ينظر: ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص١٤٢؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩١؛ الدواداري، أبو بكر بن عبد الله بن ايبك (ت، ٧٣٦هـ/ ١٣٣٥م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: سعيد عبدالفتاح عاشور، (القاهرة، دار احياء الكتب العربية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م)، ج٤، ص ص٤٦٦-٤٦٨.

(٦) مدينة إليسانة: مدينة تبعد عن مدينة قرطبة أربعون ميلاً، وتسمى مدينة اليهود، وبها ربض يسكنه المسلمون ومعهم يهود، وبه مسجداً جامعاً، وأهل هذهِ المدينة اغنياء. ينظر: الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي المعروف بالشريف الإدريسي (ت، ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١ (بيروت، عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص ص٥٧١-٥٧٢.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٤٩؛ ابن خاقان، أبو محمد الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج(ت، ٢٤٧هـ/ ٨٦١م)، قلائد العقيان، (القاهرة، بلا.م، ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٦م)، ص١٨٣.

مما تقدم يتبين لنا سياسة التسامح التي اتبعها أمراء الأندلس مع أهل الذمة، فقد فسحوا لهم المجال لممارسة حرية المعتقد وتنظيم شؤونهم، وجعلوهم يمارسون ما يشبه بالحكم الذاتي في مناطقهم[1].

سادساً: عرفاء الحرس.

يسمى صاحب الحرس وعريف الحرس وأحياناً قائد الغلمان الخاصة، وهو من الشخصيات المهمة في الدولة كونه المسؤول عن الأمن الشخصي للأمير، ويقوم بقيادة مجموعة من أمهر الرجال المتدربين على فنون القتال والحروب والمعروفين بالبأس والشجاعة والشدة، ويُعين عريف الحرس من قبل الأمير مباشرة ويرتبط به وينفذ أوامر، ولم يختصر عمل عريف الحرس ومجموعته على الجانب الأمني للأمير، وإنما كُلف من قبل الأمير بمهام عديدة منها أن يتولى إلقاء القبض على الأشخاص الذين يقع عليهم سخط الأمير، وكذلك القبض على الموظفين الكبار في الدولة ومصادرة أموالهم ومحاسبتهم، ويتجسسون على أصحاب المراتب العليا وينقلون أخبارهم إلى الأمير، وينقلون أوامر وتوجيهات الأمير إلى رجال الدولة الكبار، فضلاً عن مهمتهم الرئيسة وهي حماية وحراسة الأمير في قصره وعند خروجه لأداء الصلاة وفي ترحاله[2].

وأول إشارة وردت على اتخاذ أمراء الأندلس للحرس، في عهد الأمير الحكم الربضي(١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢١م) الذي ولّى شخصاً نصرانياً اسمه (الربيع قومس)[3] منصب عريف الحرس أو قائد الحرس، وكان هذا الشخص أثيراً عند الأمير،

(١) أعرب المؤرخ ديوارنت عن إعجابه بسياسة التسامح والتنظيم التي اتبعها المسلمون مع سكان أهل الأندلس من أهل الذمة قائلاً: ((...وما من شك في أن حكمهم أي المسلمين- كان أفضل من حكم من سبقوهم من القوط الغربيين... وكان أهل البلاد المغلوبون يحكمون في معظم الأحوال حسب قوانينهم وعلى أيدي موظفين منهم...)). ينظر: ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، تقديم: محيي الدّين صَابر، ترجمة: زكي نجيب محمُود وآخرين، (بيروت/ تونس، دار الجيل/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج١٣، ص٢٩٢.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص ص١٥٠-١٥١؛ عياض، ترتيب المدارك، ج٤، ص ص٣٧٦-٣٧٧؛ النباهي، أبو الحسن علي بن عبد الله بن الحسن المالقي (ت، ٧٩٣هـ/ ١٣٠٠م)، تأريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بلا.ت)، ص٥٣؛ ابن خلدون، ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، العبر ديوان المبتدأ والخبر في تأريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، ط٢ (بيروت، دار الفكر، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، ج٢، ص٨٦؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤٦٥.

(٣) الربيع القومس بن توديلفو، من زعماء أهل الذمة النصارى في بلاد الأندلس، ومن أقرب الأشخاص للأمير الحكم الربضي. ينظر: ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ص ١٥؛ أبو رميلة، هشام، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، (فلسطين، دار الطباعة العربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٣٣.

ورفيقاً له، يكلفه الأمير لقضاء حاجاته الخاصة[١]، وكلفه بمهام إضافية منها فرض الضرائب على العامة من المسلمين[٢]، وكان عريف الحرس هذا ظالماً متجبراً على الناس معتدياً على حقوقهم، مما أثار العامة ضده وضد الأمير، فكان ذلك سبباً من أسباب (هيج الربض)[٣] في مدينة قرطبة عام ٢٠٢هـ/ ٨١٨م، وعندما فشلت هيج الربض كلفه الأمير الحكم الربضي بهدم ديار المسلمين المشاركين بهذهِ الهيج فمسح أحياء الثوار مسحاً[٤].

وكان للأمير محمد بن عبد الرحمن موكب فخم وكبير يحيط به عرفاء الحرس والجنود من كل مكان، ولا يمكن لأحد الاقتراب منه[٥].

ويُلاحظ أن هذا المنصب وجد في عهد الإمارة، ولم تتطرق له المصادر في عهد الخلافة رغم أن الخلفاء اتخذوا حرساً خاصاً لهم غير أنه لم يرد مصطلح عريف الحرس خلال عهد الخلافة.

سابعاً: عريف الخدم.

الخدم هم الأفراد الذين يكونون في قصور الإمارة، ويقومون على أبوابه، ويختصون بخدمة الأمير الشخصية، وكل قسم منهم مختص في قضية معينة داخل القصر، كالنظافة والتنظيم وترتيب شؤون القصر، وإعداد الأطعمة وتذوقه، واستقبال ضيوف الأمير، ويوفرون جميع ما يحتاجه الأمير لراحته وخدمته ويحيطون به، وعُين على هؤلاء الخدم رئيس عليهم عرف بعريف الخدم، ويكون من أقرب الشخصيات في القصر للأمير، ويرافقه في حله وترحاله، ولا يدخل شخص على الأمير إلا بإذنه، وينظم جلوس الأشخاص في حضرة الأمير حسب مكانتهم[٦].

(١) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٩٦؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٤٤، ص٢٥١.

(٢) ومن هذه الضرائب التي فرضها عريف الحرس هي ضريبة المعاون التي يدفعها العامة عند حاجة الدولة إليها، وخوله الأمير فرض ضريبة المغارم وهي أحد الضرائب التي يفرضها الأمير على الناس في وقت الحاجة، أو كعقاب لهم على أمور ينكرها عليهم كغرامة عليهم، وتدفع عيناً. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص٤٦١؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص١٦.

(٣) هيج الربض: هيج شعبي حدثت في ربض شقندة إحدى أرباض (إحياء) مدينة قرطبة عام ٢٠٢هـ/ ٨١٨م، بسبب سوء سياسة الأمير الحكم، وفرضه للضرائب، والسبب الرئيس لها هي بسبب مشادة كلامية حدثت بين أحد مماليك الأمير وأحد صقالين السيوف في ربض شقنده، انتهت هذهِ المشادة بمقتل الصقال فهاج الناس، ورفعوا أسلحتهم ونادوا بسقوط الأمير الحكم، وحاصروا قصر الإمارة بقرطبة، وانضم إليهم عدد من أهل الأرباض الأخرى والعلماء والفقهاء والقضاة، إلا أن الأمير تمكن من قمع هذا الهيج بكل قسوة وشدة، وبعدها عرف الأمير الحكم بالحكم الربضي. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص١٤٨؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص ص٧٦-٧٧؛ مجهول، أخبار مجموعة، ص١٢٠؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص ص٢٤٥-٢٤٧.

(٤) ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢، ص١٦؛ ابو رميله، هشام، نظم الحكم في عصر الخلافة الأموية بالأندلس، (فلسطين، دار الطباعة العربية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ص٢٣٣.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص١٤٩.

(٦) السمعاني، أبو سعيد عبدالكريم بن محمد بن منصور

ومن واجبات عريف الخدم أن يوفر ما يحتاجه الخدم من مأكل، وملبس، وتدريب، ويوزع عليهم رواتبهم التي يستلمونها من الخزانة الخاصة بالأمير، ويوفر لهم المستلزمات والاحتياجات لكي ينفذون واجباتهم على أتم وجه[1].

أما ملبس عريف الخدم فإنه كان يرتدي قلنسوة طويلة مرقشة، ومزخرفة تصنع من الخز والصوف، كي تميزه عن بقية العاملين في القصر[2].

ولم يقتصر عمل عريف الخدم في الإشراف على الخدمة في القصر إنما كان يكلف بمهام تتجاوز اختصاصه منها نقل التعليمات، والتوجيهات، والرسائل السرية من الأمير إلى قادته، وهذا ما حصل عندما أرسل الأمير الحكم الربضي عام ١٩١هـ/ ٨٠٦م، عريف خدمه مع ولده وولي عهده (الأمير عبد الرحمن)[3] الذي قاد جيشاً كبيراً إلى مدينة طليطلة الثائرة على الأمير، وحمل عريف الخدم رسالة شفوية سرية إلى عمروس بن يوسف والي الأمير على طليطلة لم يعلم بفحواها حتى ولده، فبلغها إلى عمروس، وأمره أن يقيم وليمة لأعيان وكبار أهل المدينة الذين خلعوا إمارته، وأن يتم قتلهم جميعاً داخل قصر المدينة، وفعلاً نفذ عمروس خطة الأمير بأن أقام وليمة ضخمة في القلعة الجديدة بطليطلة دعا إليها ألوفاً من الكبراء والأعيان، ورتب عريف الخدم الدخول من باب والخروج من باب آخر منعاً للزحام، وجعل الخدم يقتادون المدعوين إلى غرف الطعام عشرة عشرة، وكلما دخلت منهم مجموعة أخذوا إلى جهة معينة في القصر، وضربت أعناقهم، وألقيت جثثهم في حفرة عظيمة حفرت خصيصاً لهذهِ المجزرة

التميمي (ت، ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله البارودي، ط١ (بيروت، دار الجنان، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ج٥، ص٤؛ ابن القوطية، تأريخ افتتاح الأندلس، ص١٥٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٥١؛ ابن رشد القرطبي، أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد المالكي (ت، ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م)، فتاوي ابن رشد، تحقيق: المختار بن الطاهر التليلي، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، ج٣، ص١٥١٦.

(١) العبادي، أحمد مختار، في تأريخ المغرب والأندلس، (بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بلا. ت)، ص١٩٩؛ بنمليح، عبدالإله، ظاهرة الرق في الغرب الإسلامي، (الدار البيضاء، مشورات الزمن، بلا. ت)، ص ص٢٨-٢٩، الخلف، نظم حكم الأمويين، ج١، ص ٣٧٢.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٤٨؛ سالم، سحر عبدالعزيز، ((ملابس الرجال في الأندلس في العهد الإسلامي))، بحث منشور ضمن ندوة الأندلس، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، (الإسكندرية، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م)، ص ٢٥٤.

(٣) الأمير عبد الرحمن: أبو المطرف عبد الرحمن بن الأمير الحكم بن الأمير هشام القرشي، كان عالماً بعلوم الشريعة والفلسفة، وحافظاً للقران الكريم، عارفاً بالجرح والتعديل، شاعراً مفوهاً، عاقلاً، حليماً، حازماً، واسع الثقافة والافق، واعتبر عصره عصر تكوين الطابع الحضاري لبلاد الأندلس، تولى الإمارة بعد وفاة والده الحكم الربضي سنة ٢٠٦هـ/ ٨٢١م، وعرف بعبد الرحمن الثاني وعبد الرحمن الأوسط، توفى سنة ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م. ينظر: ابن الفرضي، تأرخ علماء الأندلس، ج١، ص ص١٢-١٣؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٤؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١١٣.

في مؤخرة القصر، وأصوات الطبول والمزامير تحول دون سماع استغاثتهم، وعرفت هذهِ المذبحة بوقعة الحفرة[١].

ولم تقدم المصادر معلومات وافية عن عريف الخدم إنما جاءت المعلومات كإشارات متناثرة وبسيطة منها ذكر اسمه فقط، إذ ذكر بأن عريف الخدم في عهد الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٧هـ/ ٨٢١-٨٨٦م) اسمه نصر الخصي[٢]، وذكر ابن حيان مكانة هذا العريف عند الأمير عبد الرحمن قائلاً: ((... أبو الفتح نصر الخصي خليفة الأمير عبد الرحمن بن الحكم والمقدم على جميع خاصته والمدبر لأمر داره...))[٣].

وتولى عرافة خدم الأمير عبد الرحمن بعد وفاة نصر، شخص اسمه سعدون، ذكره ابن حيان عندما تحدث عن اشتداد مرض الأمير عبد الرحمن قائلاً:((...إنه قال يوما لأكابر خدمته الخاصة، وقد حفوه في مرضه، وفيهم سعدون زعيمهم- عريفهم- الذي اختصه بعد مهلك حظيه نصر...))[٤].

ومن واجبات عريف الخدم هو أن يحشد الخدم داخل قصر الإمارة، لاستقبال الأمير الجديد، فعندما تولى الأمير محمد بن عبد الرحمن عام ٢٣٨هـ/ ٨٥٢م الإمارة، ودخل قصر الإمارة فحشد عريف الخدم الخدم، وأخذوا ((...يزفونه زفاً إلى سرير والده فاستوى عليه وتم ملكه...))[٥].

ويمكن أن نقف على المكانة الكبير لعريف الخدم في عهد الإمارة، بأن وصلت إلى درجة أن الوزير كان يحيك ضده المؤمرات للتخلص منه، ومن ذلك محاولة الوزير (هاشم بن عبدالعزيز)[٦] وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن أن يوقع بعريف خدم الأمير من خلال تكليف أشخاص برفع الشكاوي والدسائس عليه لدى الأمير، فاستشار الأمير وزيره بأمر هذا العريف، فاقترح على الأمير التنكيل به وطرده من وظيفته، إلا أن الأمير كشف هذه المؤامرة ضد عريف خدمه، وحذر وزيره من التعرض له، لأن هذا العريف كان من الثقات عند الأمير محمد[٧].

ثامناً: عريف المؤذنين.

هو المؤذن المسؤول عن المؤذنين في المساجد الجامعة، لأن العادة جرت في المساجد الجامعة الكبيرة أن يكون فيها أكثر من مؤذن يتوزعون في أجزاء

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص ص١٠٧-١٠٨؛ ابن الأثير، الكامل، ج٥، ص ص٣٧٥- ٣٧٦؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٦٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٥٠.

(٣) المقتبس، تحقيق: مكي علي مكي، ص١٤٩.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص١٥١.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص١١٨.

(٦) هشام بن عبدالعزيز: أبو خالد هاشم بن عبدالعزيز بن هاشم، كان شاعراً بليغاً، وفارساً شجاعاً، مشهوداً بالبأس والجود، عظمت منزلته عند الأمير محمد وقلده وزارته، وفي عهد الأمير المنذر جعله حاجباً له ثم نكبه، ومات مقتولاً سنة ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٣٥٣؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص١٣٧؛ ابن سعيد، المغرب، ج٢، ص٩٤.

(٧) أخبار مجموعة، ص ص١٤٢-١٤٤.

المسجد، ويرفعون الأذان بصورة متتالية بعد أن يرفعه عريفهم، ويتميز عريف المؤذنين واتباعه بجمال الصوت وحسنه ووضوحه[1].

ويكون تعيين عريف الموذنين من صلاحيات (صاحب الصلاة)[2] كما ذكر الكتاني(ت، ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م) بأن العادة جرت في المسجد الجامع أن:((... يتخذ مؤذنين أو ثلاثة عليهم رئيس - أي عريف-، صيتين فاضلين فصيحين بالأذان، عالمين بالأوقات، ويجب على الإمام التوسعة عليهم إن كانوا فقراء، لئلا يحتاجوا إلى الشغل فيخلوا بلزوم المسجد أوقات الصلوات...))[3].

ومن واجبات عريف المؤذنين أن يستأذن من الأمير لصعود الإمام لأداء خطبة الجمعة: فـ((... يقوم رئيس المؤذنين ومعه العصا التي يتوكأ عليها الخطيب فيقول: قد فاء الفيء يا سيدنا أمير المؤمنين، والحمد لله رب العالمين! يريد بهذا القول استئذانه في صعود الخطيب المنبر، فيقوم الخطيب ويصعد المنبر، ثم يناوله ذلك الرجل العصا. فإذا جلس الخطيب فوق المنبر أذن...))[4].

ولم يقتصر عمل عريف المؤذنين على المساجد الجامعة إنما كان يرافق الجيوش الأندلسية الغازية مصطحباً معه مجموعة من المؤذنين، كي يرفعوا الأذان بين صفوف الجيش في المعسكرات والتكبير أثناء المعارك، ومن ذلك ما ذكره ابن عذاري ضمن حوادث عام ١٩٧هـ/ ٨١٢م بأن صاحب الصوائف (عبيدالله البلنسي)[5] غزا المناطق المحيطة بـ(مدينة برشلونة)

(١) الصدفي، أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي (ت، ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م)، تأريخ ابن يونس المصري، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٢، ص٣١٥؛ المراكشي، المعجب، ص٢٤٧.

(٢) صاحب الصلاة: من ارفع الخطط الدينية في بلاد الأندلس، وهي تندرج تحت الخلافة، ويوليه الأمير مباشرة، ويجب أن يكون رجلاً ديناً، صالحاً، حافظاً للقران الكريم، عالماً بأحكام الصلاة والطهارة، خطيباً مفوهاً، عالماً بالفقه. ينظر: ابن خلدون، المقدمة وهي الجزء الأول من تأريخ ابن خلدون المسمى العبر و ديوان المبتدأ والخبر من ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحاده، مراجعة: سهيل زكار، (بيروت، دار الفكر، ١٤١٣هـ/ ٢٠٠١م)، ص٢٧٣؛ ابن الأزرق، بدائع السلك، ج١، ص٢٣٨؛ الكتاني، أبو عبد الله محمد بن الحسن الطيب (ت، ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م)، الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب، تحقيق: حمزة الكتاني، (بيروت، بلا.م، بلا. ت)، ج٣، ص٢٦.

(٣) الكتاني، الاجتهاد والمجتهدون، ج٣، ص٢٦.

(٤) المراكشي، المعجب، ص٢٤٧.

(٥) عبيد الله البلنسي: عبيدالله بن عبد الله البلنسي، الملقب بصاحب الصوائف، أحد القادة العسكريين الكبار الموثوق به لدى الأميرين الحكم الربضي وابنه عبد الرحمن الأوسط، واعتمد عليه الأمير الحكم في قمع هيج الربض بقرطبة سنة ٢٠٢هـ/ ٨١٧م، وفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م، وكلفه الأمير عبد الرحمن الأوسط بقيادة صائفة إلى دار الحرب فدمر تلك المناطق، ووصل إلى مدينة برشلونة، وفرض عليها حصاراً مدة ستين يوماً دون أن يتمكن من فتحها لشدة حصانتها، ورجع إلى قرطبة بغنائم كبيرة وكثيرة. ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٦، ص٨٣؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٣، ص٣٧٧، ص٣٨١؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٥٧.

[1] وبعد النصر صلى ركعتين، وأمر بجمع رؤوس القتلى من النصارى، فجمعت وبلغت أكثر من ثلاثة آلاف رأس، وأمر أن تصف رؤس النصارى كالتل، وأمر عريف المؤذنين بالصعود فوق تل الرؤوس، وأن يعليّ المؤذنون أذانهم فكان يوماً مشهوداً بعز الإسلام والمسلمين[2].

ومن واجبات عريف المؤذنين أن يقوم مقام إمام المسجد الجامع عند غيابه، ويتولى مهمة الإمامة والخطابة، فقد ذُكر بأن عريف المؤذنين بقرطبة وجد إمام الصلاة ميتاً في المسجد قبل صلاة الجمعة، فقام عريف المؤذنين: ((... فطلع المنبر وخطب وصلى بالناس...))[3].

مما يدل على سعة وأهمية المهام التي يقوم بها عريف المؤذنين كونه مناط بمهام دينية لها أثر في نفوس المسلمين كالإمامة والخطابة التي ينبغي توفر شروط ومؤهلات محددة فيمن يتقلدها، ولا يتسنى تقلدها لأي شخص.

تاسعاً: عريف النجارين.

هو الشخص المسؤول عن عمل النجارين بمدينة قرطبة، ويرعى مصالحهم وشؤونهم، وقد احتوت قرطبة على سوق خاص بهم يسمى سوق الخشابين، ويتولى عريف النجارين مهمة الإشراف على هذا السوق والعاملين فيه[4].

ولم تقدم المصادر معلومات وافية عن عريف النجارين سوى ما ذكره الكتاني ضمن حديثه عن العالم الكبير (عباس بن فرناس)[5] الذي ظهر في عهد الأمير الحكم الربضي، إذ قال: ((...اتجه نحو علوم

(١) مدينة برشلونة: مدينة رومية، تقع على الشواطئ الشمالية الشرقية لبلاد الأندلس، وهي مدينة محصنة لها سور منيع، وأغلب سكانها من اليهود، ومشهورة بزراعة الحنطة والحبوب وانتاج العسل. ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٩١١؛ بنيامين، الرابي بنيامين بن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي (ت، ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، ط١ (أبو ظبي، المجمع الثقافي، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م)، ص ١٤١؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص٨٦-٨٧.

(٢) ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٤١؛ عنان، دولة الإسلام، ج٣، ص٦٥، ص٥٣٨.

(٣) النويري، نهاية الأرب، ج٣٠، ص١٧٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت، ٧٦٤هـ/ ١٣٦٣م)، الوافي بالوفيات، تحقيق واعتناء: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، بيروت، دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، ج٢، ص٥.

(٤) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٣، ص٥٧؛ ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة(ت، ٦٦٨هـ/ ١٢٨٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: نزار رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، ص١٢٥.

(٥) عباس بن فرناس: أبو القاسم عباس بن فرناس التاكروني، كان أديباً، شاعراً مفلقاً، عالماً في الفلسفة وعلم النجوم، وهو أول من استنبط صناعة الزجاج من الحجارة ببلاد الأندلس، وأول من فكك كتاب العروض للخليل بن أحمد الفراهيدي، وصنع إنموذجاً يمثل النظام الشمسي وساعة، وهو أول من حاول الطيران، ووصف بأنه حكيم الأندلس الرائد. ينظر: ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٤٥٥؛ الكتاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، (بيروت، بلا.م، ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٩م)، ص٢٩٣؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٣٣.

الأوائل، فبرز في الفلسفة والنجوم، وشهر بمحاولاته الابتكارية مثل عمل ساعة للتوقيت، واستحضار الزجاج من بعض أنواع الحجارة، ... يستعين... باصبغ عريف النجارين في القصر، ...))[1].

ونفهم من النص المتقدم بأن عريف النجارين في قصر الإمارة هو المسؤول عن النجارين الذين يعملون داخل القصر، وكانوا من أمهر النجارين والنقاشين في الأندلس ويعملون كل ما يحتاجه القصر من أدوات خشبيه كالسرير، والمقاعد، والأدوات الخشبية، والزخرفية الأخرى.

عاشراً: عريف الإسطبل.

هو الشخص المسؤول عن إسطبل الخيول الخاصة بالأمير، ويكون مكانها داخل قصر الإمارة، ويُعد الأمير الحكم الربضي أول من أمر بإنشاء إسطبل الخيل بشكل رسمي، واحتوى الإسطبل على مائة من الخيول العربية المشهورة بأصالتها الداخلة إلى الأندلس من المشرق، وعدد من البغال، والدواب الاخرى، ومهمة عريف الإسطبل الإشراف على ترويض الخيول، والاهتمام بعلافتها، وتدريبها، ونظافتها، وإسراجها، وتجهيزها عندما يطلب ذلك الأمير عند الخروج في جولات الصيد، أو زيارات للمدن الأندلسية، أو قيادته للحملات العسكرية[2].

الحادي عشر: عريف الأهراء.

الأهراء هي لفظة عربية تعني المستودعات والمخازن الضخمة المخصصة لجمع وخزن الحبوب والأطعمة في الدولة، وقد عُين في بلاد الأندلس عرفاء يشرفون عليها ويسجلون الداخل والخارج منها في سجلات خاصة بهم، ومقدار كمياتها، ومن أين أَتت وفي أي محل صُرفت، ويتم اختيار عرفاء الأهراء من الشخصيات المعروفة بأمانتها وثقتها وعفتها، لأن مهمتهم مرتبطة بتوفير المواد الغذائية للمجتمع[3].

وواجبات عريف الأهراء أن يبقي الأهراءات مليئة بالحبوب والأطعمة التي تجبيها الدولة من المزارعين كضريبة عن مزروعاتهم، أو من الأراضي الزراعية التابعة لها، وأن يوفر الحبوب والأطعمة في مواسم القحط، وأن يقوم ببيعها في الأسواق عندما يقل العرض كي لا ترتفع أسعارها، فضلاً عن تجهيز الجيوش الغازية بما تحتاجه من مواد غذائية، وأضيفت له مهمة أخرى وهي أن يقوم بنثر الحبوب على الجبال في موسم الشتاء من أجل توفير الطعام للطيور[4].

وممن تولى هذه الوظيفة الشاعر الكبير (يحيى الغزال)

(١) الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٣.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة، ص١١٨؛ دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج٧، ص١٥٨.

(٣) السمعاني، الأنساب، ج١، ص٣٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ص٢٧٥-٢٧٦؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس (منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار)، تحقيق: ليفي بروفشال، (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م)، ص٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٧٩.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص١٧٥؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٨، ص١١٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢، ص٩٩.

[1] ولاه الأمير عبد الرحمن بن الحكم عرافة الأهراءات بمدينة قرطبة، إضافة إلى وظيفة قبض الأعشار بـ(بلاط مروان)[2]، فقبض أعشار تلك الناحية وخزنها في الأهراءات الضخمة المعدة لخزن الأطعمة، وحدث في العام نفسه الذي قبض فيه الأعشار قحط عم بلاد الأندلس، وقل الطعام، وارتفعت الأسعار، فأخذ الغزال برأيه واجتهاده ببيع ما في أهراءات مدينة قرطبة من طعام لديه حتى نفذ ما بها مما جمعه من أعشار تلك السنة، ثم نزل المطر بغزارة ورخص الطعام، فأُخبر الأمير عبد الرحمن الأوسط بما فعله الغزال من البيع، فأنكره وقال: إنما تعد الأعشار لنفقات الجند، والحاجة إليها في الجهاد، فماذا صنع هذا الخبيث! عليه أن يؤدي ما باع من أثمانها، وأن يشترى به طعاماً، يحفظ في الأهراءات إلى وقت الحاجة إليه، إلا أن يحيى الغزال رفض ذلك وقال: إنما أشتري من الطعام عدد ما بعت من الإمداد، وبين العددين فرق كثير نحو ثلاثين ألفا، فأخبروا الأمير بامتناعه من الأداء، وبما ذهب إليه من شراء مثل ما باع، فأمر باعتقاله وحمله مكبلاً إلى مطبق مدينة قرطبة، وهو في السجن نظم قصيدة إلى الأمير عبد الرحمن الأوسط جاء فيها:

إن تُـــــرد المَال فإني أمرؤٌ
لم اجَمع المالَ ولم أكْسِبِ
إذا أخذتَ الحقَّ مِنِّي فلا
تَلتَمِـــس الـــــرّبح ولا تَرغَب
قَـــــــد أحسنَ الله إلينَا معا
إن كـــــان رأس المال لـــم يذهب

فأعجب الأمير بها وأمر... بإطلاق سراحه فوراً من سجنه[3].

الثاني عشر: عريف الخياطين.

هو رئيس المشتغلين بمهنة الخياطة وتعدّ الخياطة

(١) يحيى الغزال: من كبار شعراء الأندلس وحكمائها وأدبائها، ومن ندماء الأمير عبد الرحمن الأوسط وجلسائه المقربين ويحظى برعايته واهتمامه وتقديره، وكلفه الأمير برئاسة سفارة دبلوماسية إلى إمبراطور بيزنطة، وعاصر خمسة من الأمراء، توفى سنة ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م عن عمر ٩٤سنة. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص١٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٣٧٥؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٥٠؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٤٦؛ بالنثيا، انخل جنثالث، تأريخ الفكر الأندلسي، نقله من إسبانيا: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص ص٤-٥.

(٢) بلاط مروان: بلدة تقع شرق مدينة قرطبة تبعد عنها ثلاثون ميلاً، مشهورة بمزارعها وبساتينها. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٣٥٨؛ أرسلان، شكيب، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية (بيروت، مكتبة دار الحياة، بلا. ت)، ج١، ص ص٢٦٨-٢٦٩.

(٣) ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن حسن الأندلسي(ت، ٦٣٣هـ/ ١٢٣٥م)، المطرب من أشعار أهل الأندلس، (بيروت، بلا. م، بلا. ت)، ص ص١٣٥-١٣٦؛ عباس، إحسان، تأريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة)، ط١ (بيروت، دار الثقافة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م)، ص ١١٢؛ المشهداني، أنيس محمد جاسم، ((سجون مدينة قرطبة في عصري الإمارة والخلافة (١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م) (دراسة تأريخية)))، بحث منشور في مجلة دراسات في التأريخ والآثار، جامعة بغداد، كلية الآداب، بغداد، العدد ٦٢، (بغداد، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٧م)، ص ص ٦٨٤-٦٨٥.

من الصناعات المهمة التي كانت تعتمد عليها الدولة في بلاد الأندلس، إذ كان الخياطون يحيكون وينسجون ويطرزون الثياب للأمير ولأفراد أسرته وحاشيته، وينتج هؤلاء الخياطون الكسى والخلع التي كان يفيض بها أمراء الأندلس على رجال الدولة، والتي تُعد من العلامات الدالة على عظم الدولة، وغيرها من الأعلام والشارات التي تتطلبها أجهزة الدولة المختلفة، وينسج الخياطون الغزل من الصوف والكتان والقطن، وتصنع الثياب من القطن والكتان، ويصنعون الأكسية من الصوف، وتنتج هذهِ المنسوجات في مكان مخصص لهم بقصر الإمارة بقرطبة يعرف بدار الطراز يعمل فيه المهرة والحاذقين بمهنة الخياطة والطراز، ولهذهِ الدار خزانة خاصة بها تعرف بخزانة الكسوة، يوضع بها ما يتم إنتاجه من الملابس والأقمشة، ويشرف على الخياطين شخص يعرف بعريف الخياطين يتولى الإشراف على عمل الخياطين، ويرعى مصالحهم ويوفر ما يحتاجونه، ويقوم بتسجيل ما يتم صناعته وإنجازه من الثياب ويضعها في خزانة الكسوة، ويرتبط عريف الخياطين بصاحب الطراز الذين يرتبط بالأمير مباشرة ويعد من كبار الموظفين في الدولة[1].

ويُعدّ الأمير عبد الرحمن الأوسط أول من أنشأ دار الطراز بقصر الإمارة بقرطبة والذي أصبح مقراً للخياطين وعريفهم، وعمل به أمهر الخياطين في البلاد، وتصنع في هذا الدار الأقمشة الفاخرة ويعمل به المطرزون على الأقمشة والجلود، وتصنع به كل حاجيات الأمير وأهل بيته[2].

كما أنشأ الأمير عبد الرحمن بن الحكم دور الطراز في عدة مدن أندلسية كـ(مدينة إشبيلية)[3] و(مدينة المرية)[4] التي احتوى دار طرازها على ثمانمائة طراز جعل على كل دار عريف يشرف عليها[5]، وقد أورد

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص١٦٢؛ المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص١٨٥؛ ابن الخطيب، أعمال الأعمال، ج٢، ص٤٠؛ ابن خلدون، العبر، ج١، ص ٥١٦؛ البكر، خالد بن عبدالكريم بن محمود، النشاط الاقتصادي في الأندلس في عهد الإمارة، ط١(الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، ص٢١٦.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص ٢٨؛ ابن الخطيب، أعمال الأعلام، ج٢، ص٢٠.

(٣) مدينة إشبيلية: مدينة أندلسية كبيرة وحصينة، تقع على شاطئ نهر الوادي الكبير، تتميز بنقاء وطيب هوائها وعذوبة مياهها، وخصوبة تربتها، وتكثر بها زراعة الزيتون والقطن، وبينها وبين قرطبة مسيرة ثمانية أيام. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٣؛ الأصطخري، المسالك والممالك، ص٣٨؛ المنجم، آكام المرجان، ص١٠٧.

(٤) مينة المرية: مدينة أندلسية كبيرة تابعة إلى كورة البيرة، وإحدى المراسي المشهورة ببلاد الأندلس، أمر ببناءها الخليفة الأندلسي عبد الرحمن الناصر لدين الله سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م، وأحاطها بسور حصين ومنيع، وابتنت بها المحارس واتخذت رباطاً بحرياً للمسلمين، وهي مدينة كثيرة الخيرات والمنتوجات. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص١١٠؛ ابن حزم الأندلسي وآخرون، فضائل الأندلس وأهلها، ص١٦؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص ص٥٦٣-٥٦٤؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١١٩.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ١٢٧.

الإدريسي(ت، ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م) ما كان ينسج في هذه الدار بقوله: ((...بها من طرز الحرير ثماني مائة طراز يعمل بها الحلل والديباج والسقلاطون[١]... وصنوف أنواع الحرير...))[٢].

وكان عريف الخياطين في القصر من الشخصيات التي تتميز بقوة الشخصية، ويُعطى الوقت المناسب لإنجاز الثياب التي يطلبها الأمير، ويشرف على دقة العمل وجودته، فقد طلب الأمير عبد الرحمن الأوسط من الراشدة وهي القائمة على خدمته بأن تدخل إلى خزانة الكسوة، وأن تختار له قماشاً من أفخر الأنواع، وأن تأتي بهِ إليه، وفعلاً جلبت له الراشدة قطعة أنيقة جميلة من الجلد، فأمر الأمير أحد خدمه الكبار أن يذهب بهذهِ القطعة إلى عريف الخياطين بالقصر كي يصنع منه ثوباً للأمير، ويتخذ منه قلنسوة لحاجبه ليرتديها صبيحة اليوم التالي، فعاد الخادم إلى الأمير يخبره بجواب عريف الخياطين، بأن خياطة الجلد لاتكتمل في الوقت الذي حدده الأمير لدقة صنعة الثوب والأناة لنقشه، وتعذر جمع العمال عليه، فضلاً عن عمل القلنسوة لحاجبه من بقايا الثوب، وأن هذا العمل يتطلب وقتاً طويلاً، فأصاب الأمير عبد الرحمن الحزن، وقال له حاجبه بأن خزانة الكسوة تحتوي على الثياب الفاخرة والقلانس الرفيعة، فاختار الحاجب للأمير ملابس وارتداها وخرجا في نزهة[٣].

الثالث عشر: عريف البناء.

هو العارف بأمور البناء والمتخصص بهِ، والمهندس والمخطط للمنشآت العمرانية، ورئيس عمال البناء الذي يتولى توجيههم وإدارتهم وتقسيم المهام والإشراف عليهم، وتوفير ما تتطلبه عملية البناء من آلات ومعدات ومواد، ويراقب كل صغيرة وكبيرة تحدث في العمل كي يتم العمل بالشكل المخطط له، ويكون عريف البناء من الشخصيات ذات الخبرة الكبيرة بشؤون وأساسيات البناء وقواعده وأحكامه، ويكون من المتقنين والمهرة المتفننين بقضايا البناء، ويتم على يديه صرف أجور العمال وأرزاقهم وجميع حقوقهم وتوفير احتياجاتهم كما خصص لعريف البناء أجر يومي، ويعمل تحت إشراف عريف البناء مجموع من الصناع والفعلة كالبنائين، والنجارين، والحدادين، والجيارين، والدهانين، والحفارين، والحجارين والنحاتين، والنقاشين، والمرخمين، والرسامين، والمرصعين وغيرهم[٤].

(١) السقلاطون، نوع من أنواع المنسوجات الحريرية المطرزة بخيوط من الذهب، وهي نسبه إلى بلدة سقلاطون الرومية. ينظر: إبراهيم، رجب عبدالجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط١(القاهرة، دار الآفاق العربية، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ م)، ص٣٣.

(٢) نزهة المشتاق، ج ٢، ص٥٦٢.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص ص١٦١-١٦٣.

(٤) ابن الفقيه الهمداني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق (ت، ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م)، البلدان، تحقيق: يوسف الهادي، (بيروت، عالم الكتب، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)، ص٢٩٠؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢١؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٦١١؛ ميارة الفاسي، أبو عبد الله محمد

ومن الواجبات التي تقع على عريف البناء تقدير النفقة اللازمة لإنجاز أي عمل عمراني قبل البدء به، وأن يقدم مخطط (رسم هندسي) للعمل الذي يكلف بإنشائه، وقبل البدء بأعمال البناء يعرض على الأمير للموافقة عليه[1].

ولم يقتصر عمل عرفاء البناء على الإشراف على البناء والتشييد والهدم، إنما أُضيفت لهم مهمة النظر في الدور والمباني، إذ كان المحتسب بمدينة قرطبة يستعين بعرفاء البناء لتقييم وبيان وضع المباني العمراني، فلا يهدم دار إلا بعد مشورتهم، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن الصديقي (ت، ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) بأنه: ((... لا يجوز التعرض لها – أي الدور – بالهدم إلَّا إن قال العرفاء المتقنون المحررون المتقون: إن هذا آيل إلى السقوط حالًا أو عن قرب جدًّا، واتفقوا على ذلك، أو قال بأيلوليته للسقوط أكثر المعلمين العرفاء...))[2].

وقد ضمت تشكيلات الجيش الأندلسي مجموعة من عرفاء البناء يرافقون الجيش الأندلسي، عملهم يشبه عمل الهندسة العسكرية في وقتنا الحاضر، ويقع على عاتقهم تقديم الدعم والإسناد للجيش كإزالة العقبات التي تكون أمام مسيره، وفتح الطرق وتوسيع المسالك الضيقة، وبناء القناطر والجسور لتسهيل مهمة عبور الجيش للأنهار والمسطحات المائية، وهدم أسوار المدن وأبوابها وهدم القناطر، فذكر ابن عذاري بأنه في عام ٢٤٤هـ/ ٨٥٨م، جهز الأمير محمد جيشاً كبيراً، وتوجه إلى مدينة طليطلة بسبب تمرد أهلها وعصيانهم، ولم تكن للمدينة منعة وحصانة سوى قنطرتها التي كانت أمامها، ((... فأمر الأمير بقطع القنطرة، وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين، وأداروا الحيلة من حيث لا يشعر أهل طليطلة، ثم نزلوا عنها، فبينما هم مجتمعون – أي أهل طليطلة – بها، إذ اندقت بهم، وتهدمت نواحيها، وانكفأت بمن كان عليها من الحماة، فغرقوا في النهر عن آخرهم فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم...))[3]، وصمم الأمير محمد على أن يدمر جميع تحصينات

بن أحمد بن محمد (ت، ١٠٧٢هـ/ ١٦٦١م)، الإتقان والأحكام في شرح تحفة الحكام المعروف بشرح ميارة، (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، بلا. ت)، ج٢، ص٢٤٦؛ الناصري، الاستقصا، ج٢، ص١٢٨.

(١) ابن سهل، أبو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأسدي (ت، ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م)، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف بالأحكام الكبرى، تحقيق: نورة محمد عبدالعزيز التويجري، ط١ (بلا.م، بلا.م ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، ص ٤٠٣؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٢١٠؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٢٢٣، ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت، ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة(تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٥م)، ج٣، ص١١٢.

(٢) الصديقي، محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الشافعي (ت، ١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م)، نشر ألوية التشريف بالإعلام والتعريف بمن له ولاية عمارة ما سقط من البيت الشريف، تحقيق: محمد أبو بكر عبد الله باذيب، (بيروت، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص٦٩.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٩٦.

المدينة، ويجردها من عوامل المنعة والحصانة ويهدم معالمها، فأمر عرفاء البناء بهدم سور المدينة والقلاع والحصون المحيطة بها إلى أن اضطر أهلها إلى طلب الصلح والأمان، وأعلنوا الطاعة[١].

ووضع أمراء الأندلس خطة لتطوير البلاد عمرانياً، إذ اهتموا ببناء وتشييد المدن في مختلف نواحي الأندلس، ففي عام ٢١٦هـ/ ٢٣١م صدر أمراً من الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى عامله على (مدينة تدمير)[٢] جابر بن مالك بن لبيد بأن يجمع عرفاء البناء والمهندسين والصناع، وأن يبني (مدينة مرسية)[٣]، لتكون قاعدة لمدينة تدمير، وتم اختيار الموقع على نهر كبير، وخطت المدينة، وبُنيت فيها القصور، ومسجد جامع، وأسواق وحمامات، وتم إنجاز بنائها عام ٢١٧هـ/ ٨٣٢م، وكانت تحفة معمارية في وقتها[٤].

كما اهتم أمراء الأندلس ببناء المدن والحصون في الثغور المواجهة للممالك النصرانية، واهتموا بشحنها بالمقاتلين كونها خط الصد الأول لهجمات هذه الممالك، وكذلك القاعدة الرئيسة لانطلاق الغزوات الإسلامية باتجاه أراضي الأعداء، وقد جمع الأمير محمد بن عبد الرحمن عرفاء البناء بقرطبة، وأمرهم ببناء (مدينة طلمنكة)[٥] في ثغر الأندلس الشرقي، واستطاع عرفاء البناء من إتمامها بسرعة وحصنوها بسور منيع وأبراج للمراقبة لحفظ الحدود وتأمينها، وأصبحت رباطاً حصيناً وقوياً للمسلمين[٦].

وكان تجديد عمارة المدن الأندلسية من أولويات أمراء الأندلس، فقد وجه الأمير (عبدالله بن محمد)[٧]

(١) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٢٩٥.

(٢) مدينة تدمير: مدينة أندلسية قديمة تقع شرق العاصمة قرطبة، وسميت تدمير نسبة إلى ملك القوط تدمير، وفيها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق، وبينها وبين قرطبة مسير سبعة أيام، فتحها المسلمون صلحاً عام ٩٤هـ/ ٧١٢م. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص ص١٣١-١٣٢.

(٣) مدينة مرسية: تقع جنوب شرق الأندلس، وهي قاعدة مدينة تدمير، بها بساتين وحدائق مشهورة، ويستخرج منها الفضة، واستطونتها القبائل العربية كطي وقضاعة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٦٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٩.

(٤) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص١٠٧؛ ابن الآبار، التكملة، ج٢، ص١٦٥؛ ابن عبدالحق، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٥٨؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٧٩؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص١٨١؛ المقري، نفح الطيب، ج٤، ص١٦٧.

(٥) مدينة طلمنكة: مدينة بثغر الأندلس الشرقي، تبعد عن مدينة مجريط (مدريد) خمس وأربعون ميلاً، بناها الأمير محمد بن عبد الرحمن لتعزيز دفاعات المسلمين بهذا الثغر. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

(٦) عياض، ترتيب المدارك، ج٨، ص٣٢؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣، ص٣٣١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٩٣.

(٧) الأمير عبد الله بن محمد: أبو محمد عبد الله بن الأمير محمد بن الأمير عبد الرحمن الأوسط، كان على قدر كبير من العلم والمعرفة وحسن الرأي، متفنناً في ضروب العلم بصيراً باللغات، صالحاً، أديباً، حافظاً لأشعار العرب وأيامهم، تولى الإمارة سنة ٢٧٥هـ/ ٨٨٨ م، بعد وفاة أخيه الأمير المنذر بن محمد، وفي أيامه اندلعت الفتن بالأندلس،

(٢٧٥-٣٠٠هـ/ ٨٨٨-٩١٢م) بعمارة (مدينة بطليوس)[١] الواقعة على ضفة نهى آنة (يانه) غربي قرطبة، بعد أن أعلن (عبد الرحمن بن مروان)[٢] الولاء والطاعة للأمير عبدالله أرسل له الأمير أحذق عرفاء البناء من مدينة قرطبة، وأمرهم باصطحاب الصناع والمهرة من العمال مع الأموال، وأمرهم بإعادة ترميم مدينة بطليوس، فباشر عرفاء البناء ببناء المسجد الجامع بها باللبن والطابية، وبنوا صومعته بالحجارة، وبنوا فيها حصن منيع بداخله مسجد، وأحاطوا المدينة بسور من التراب، وأكمل عرفاء البناء ترميم المدينة حسب ما رسمه لهم الأمير عبدالله[٣].

الرابع عشر: عرفاء السوق.

اهتم أمراء الأندلس بتنظيم وترتيب الحرف والمهن داخل أسواق المدن الأندلسية، وضبطها من الغش والتلاعب، وخصص لهذا الغرض موظف من كبار الموظفين في الدولة للإشراف عليها وهو (صاحب السوق)[٤] (المحتسب)، وبالنظر لكثرة واجبات صاحب السوق في بلاد الأندلس[٥]، واتساع

وامتد حكمه ٢٥ سنة، توفى سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢ م وهو ابن ٧٢سنة. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص١٦؛ ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص١٠٠؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج١، ص ص١٢٠-١٢٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٢٠.

(١) مدينة بطليوس: مدينة أندلسية من مدن اقليم ماردة غرب الأندلس، وتقع على ضفة نهر الغؤور، وأصبحت مرسى للسفن التجارية، بناها وعمرها وحصنها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي بأمر الأمير الأندلسي عبد الله بن محمد. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص١١٥؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٣.

(٢) عبد الرحمن بن مروان: عبد الرحمن بن مروان الجليقي، أحد زعماء المولدين ببلاد الأندلس، قربه الأمير محمد إليه وكلفه بمهامه الخاصة، إلا أنه في عام ٢٥٤هـ/ ٨٦٨م أعلن التمرد على الأمير وقادة ثورة ضده، إلا أن الأمير محمد استطاع أن يقضي على هذه الثورة، ويلقي القبض على عبد الرحمن، وأمر بسجنه بمدينة قرطبة وتمكن من الهرب من سجنه، ولجأ إلى الممالك النصرانية، وتوفى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩ م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٧٩؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٣٦٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٣٥.

(٣) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٤٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٤٤٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٩٣.

(٤) صاحب السوق: من الخطط الدينية المهمة التي تلي القضاء في أهميتها، وتقوم من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعرف متوليها في المشرق بالمحتسب، وفي بلاد الأندلس بصاحب السوق لأن أكثر عمله يكون في الأسواق، وتعين صاحب السوق يكون بأمر مباشر من الأمير الأندلسي. ينظر: الجرسيقي، عمر بن عثمان (ت، النصف الأول من ق ٦هـ/ ١٢م)، رساله في الحسبة ضمن كتاب ثلاث رسائل في آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق: الفريد وميشال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، ص١١٩؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٢٨٠؛ ابن عبدون، محمد بن أحمد (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، رساله في القضاء والحسبة ضمن كتاب ثلاث رسائل في أدب الحسبة والمحتسب، تحقيق: ليفي بروفنسال، (القاهرة، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥ م)، ص٢٠٨.

(٥) الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت، ٤٥٠هـ/

مهامه وكثرت انشغاله وصعوبة عمله وتعدده، فكان لزاماً عليه أن يتخذ الأعوان والمساعدين، للقيام بمساعدته بالإعمال والواجبات المكلف بها داخل الأسواق، وعرف هؤلاء الأعوان باسم عرفاء السوق، ويتم اختيار عريف كل صنعة من خيرة أهلها، ويكون خبيراً بها، ملماً بمشاكلها وأسرارها، موثوقاً بهِ، معروفاً بأمانته ونزاهته[1].

أما اختيار عرفاء السوق وتعينهم، فهو من صلاحيات صاحب السوق حصراً، إذ أكد الشيزري(ت، ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) على ذلك قائلاً: ((...ولما لم تدخل الإحاطة بأفعال السوقة – أصحاب الصناعات والحرف– تحت وسع المحتسب، جاز له أن يجعل لأهل كل صنعة عريفاً من صالح أهلها، خبيراً بصناعتهم، بصيراً بغشوشهم وتدليساتهم، ... ويطالعه بأخبارهم، وما يجلب إلى سوقهم من السلع والبضائع، وما تستقر عليه من الأسعار، وغير ذلك من الأسباب التي يلزم المحتسب معرفتها...))[2].

وتكون واجبات عرفاء السوق حسب الحرفة التي يكلف بالعرافة عليها، فيقوم بتنظيم السوق المخصص له، ويراقب نظافته وترتيبه، وينبه أهل حرفته إلى الأخطاء، ويحذرهم من الوقوع فيها في السر والعلن، ويحدد أسعار السلع وأنواعها، ويمنع أنواع التحايل والغش في المعاملات، ويعرض تقريراً مفصلاً عن كل ما يحدث في السوق إلى صاحب السوق بشكل يومي، ويتقاضى عريف السوق راتباً يُجمع له من أهل الحرفة التي يكون عريفاً عليهم باعتبار ما يقوم بهِ من أعمال لرعاية مصالحهم وتنظيم أمورهم[3].

وخصص لكل مهنة عريف منهم، فكان عريف الخبازين في سوق مدينة قرطبة شخص من أشهر أصحاب هذهِ الصنعة بسوق قرطبة، معروفاً بأمانته، وله سجل يسجل فيه أسماء الخبازين والعجانين والفرانين وعدتهم، وكان يطالبهم يومياً بمقدار مدخولاتهم، ويتفقد ما يغشون به الأخباز من دقيق،

١٠٥٨م)، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دراسة وتحقيق: محمد جاسم الحديثي، (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ص٢٠٨؛ ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج ١، ص٨٠؛ ابن الأخوة، ضياء الدين محمد بن محمد بن أحمد بن أبي زيد القرشي (ت، ٧٢٩هـ/ ١٣٢٨م)، معالم القربة في طلب الحسبة، (كمبردج، دار الفنون، بلا. ت)، ص ص٧ –١٣.

(١) السقطي، أبو عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي (ت، ٦٣١هـ/ ١٢٣٣م)، آداب الحسبة، تحقيق: ليفي بروفنسال– كولان، (باريس، مطبعة إرنست لورو، ١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م)، ص٣٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ٢١٨؛ ابن عبدون، رسالة في القضاء والحسبة، ص١٢٠.

(٢) ابن بسام الشيزري، محمد بن أحمد المحتسب (ت، ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م)، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، تحقيق: محمد حسن محمد وأحمد فريد المزيدي، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م)، ص١٢.

(٣) محب الدين المقدسي، بذل النصائح، ص٢٨٧؛ السقطي، آداب الحسبة، ص٣٦؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ص٢١٨–٢١٩؛ سامعي، إسماعيل، تأريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، (عمان، مركز الكتاب الأكاديمي، بلا. ت)، ص١٨٦.

والفول، ويراقب نضوج الخبز، وإذا رآه غير ناضج فإنه يحاسب الخباز والفران، ويبدو أن المحاسبة تكون بغلق محل الخبز إلى أن يرفع تقريره إلى صاحب السوق كي يصدر بهِ الحكم من إغلاق أو تغريم الأموال[1].

وكان عريف الخبازين بقرطبة يسير في سوق الخبازين ومعه المكاييل والموازين المعتمدة لوزن الخبز كونه معلوم الوزن عندهم، وفي بعض الأحيان يرسل أحد صبيانه كي يشتري رغيف خبز ويطبق عليه الشروط المعمول بها، ليكتشف هل هو مطابق للشروط والمواصفات المحدد له أم لا[2].

وكذلك يوجد في أسواق قرطبة وظيفة عريف الجزارين ومهمته أن يراقب محال بيع اللحوم، ويلزم القصابين بوضع ورقة مكتوب عليها السعر المحدد، فضلاً عن ذلك يراقب عملية الذبح بأن تكون تجاه القبلة، ويتأكد من أن الشاة المذبوحة غير ميتة[3].

وفي حالة وجد عرفاء السوق أن أصحاب المهن قد غشوا، أو لم يلتزموا بالشروط والضوابط الموضوعة لهم فإن العريف يكتب إلى صاحب السوق هذهِ المخالفة، فيحدد العقوبة الرادعة كأن تكون الضرب أو التشهير في الأسواق، فإن تاب استمر بممارسة مهنته في السوق، وإن عاد إلى مخالفته يتم طرده من السوق وقد ينفى من المدينة[4]، وذُكر بأن صاحب السوق بقرطبة أيام الأمير محمد، وهو (عبدالله بن حسين)[5] كان لا يتهاون مع التقارير التي يرفعها عرفاء السوق إليه، إذ كان شديد المحاسبة للمخالفين، حازماً في عمله، فوصف بأنه: ((..عسوفاً متمرداً على الغاشين من التجار والصناع...))[6].

المبحث الثاني
عرفاء عهد الخلافة
(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٨-١٠٣٠م)

هو العهد الرابع من العهود السياسية في بلاد الأندلس يبدأ بانتهاء عهد الإمارة عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م عندما أعلن الأمير عبد الرحمن بن

(١) ابن بسام الشيزري، نهاية الرتبة، ص ص٢٩٨-٢٩٩.

(٢) ابن عبدون، رسالة في الحسبة، ص١٢؛ المجيلدي، أحمد بن سعيد (ت، ١٠٩٤هـ/ ١٦٤٢م)، كتاب التيسير في أحكام التسعير، تحقيق: موسى لقبال، (الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م)، ص٤٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٨؛ ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد الدمشقي (ت، ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط١(بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، ج٦، ص٣٤٦.

(٤) ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص١٣٣؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢١٨.

(٥) عبد الله بن حسين: عبد الله بن حسين بن عاصم القرطبي، رحل إلى المشرق ودخل بغداد، واكتسب علماً كبيراً، ورجع إلى بلده الأندلس، وكان أديباً، شاعراً، كثير النوادر، سريع البديهية، وقربه الأمير محمد منه، وولاه خطة السوق بقرطبة. ينظر: الكتاني، التشبيهات، ص ص٢٩٦-٢٩٧؛ ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج٤، ص٢٩٤؛ ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص١٦٣؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٠١.

(٦) الكتاني، التشبيهات، ص ص ٢٩٦-٢٩٧.

محمد(٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) نفسه خليفة في بلاد الأندلس، ولقب نفسه بلقب خلافي وهو الناصر لدين الله، وهذهِ المرة الأولى التي يُلقب فيها الأمير الأموي بلقب خلافي، واستمر هذا العهد إلى عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م عندما خلع آخر خليفة أموي وهو (هشام المعتد بالله)[١](٤١٨-٤٢٢هـ/ ١٠٢٧-١٠٣٠م) من الخلافة، وأعلن رسمياً انتهاء الحكم الأموي لبلاد الأندلس، وتجزأت البلاد إلى دويلات وطوائف في المدن مستقلة بعضها عن بعض، متناحرة ومتنافسة فيما بينها[٢].

وخلال هذا العهد تمتع العرفاء بمكانة رفيعة في الدولة، وحرص خلفاء الأندلس على أن يجعلونهم مع الوزراء وكبار المسؤولين في الدولة عند استقبال الوفود الرسمية الوافدة إلى دار الخلافة، فقد ذكر المقري (ت، ١٠٤١هـ/ ١٦٣٢م): ((...أعاد الناصر لدين الله القعود الثاني لرسل ملك الروم بقصر الزهراء، فاحتفل لذلك، واستكملت له الأهبة وبالغ في الزينة وقعد... صاحب المدينة مع من ضم إليه من العرفاء والشرط والحرس وهم صنوف قيام...))[٣].

وسار الخليفة (الحكم المستنصر بالله)[٤] (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) على سيرة والده في تقديم العرفاء، وجعلهم ضمن الشخصيات الكبار التي تستقبل الوفود الرسمية القادمة على الخليفة، فقد ذكر ابن حيان (ت، ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) ضمن

(١) هشام المعتد بالله: أبو بكر هشام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، ولقبهُ المعتد بالله، ولد سنة ٣٦٤ هـ/ ٩٧٤م، وبويع له بالخلافة سنة ٤١٨ هـ/ ١٠٢٧م، بإجماع واتفاق أهل قرطبة، فكانت مدة ملكه أربعة أعوام وثمانية أشهر، خلع في الثاني من ذي الحجة سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، وهو آخر خلفاء بني أمية بالأندلس. ينظر: ابن الأثير، الكامل، ج٨، ص٨٠٦؛ المراكشي، المعجب، ج١، ص٥٧؛ مجهول، تأريخ الأندلس، ص٤٨.

(٢) أبن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص ٢٠٣؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ١٣٠؛ ابن الأثير، الكامل، ج ٧، ص٦٢٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج١١، ص١٦٣.

(٣) المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبطه وحققه وعلق عليه: مصطفى السقا وآخرون، (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م)، ج٢، ص ص٢٦٠-٢٦١.

(٤) الحكم المستنصر بالله: أبو العاص الحكم بن الخليفة عبد الرحمن الناصر بن محمد بن الأمير عبد الله، ولد بمدينة قرطبة عام ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وكان من أهل الدين والعلم، محبا للعلوم مكرماً لأهلها، فقيهاً بالمذهب المالكي، عالماً بالأنساب، حافظاً للتأريخ، مشهوراً بالمطالعة، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وهو ابن ٤٧ سنة، ولقب بالمستنصر بالله، وتوفى سنة ٣٦٦ هـ/ ٩٧٦ م. ينظر: ابن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق، تحقيق: إحسان عباس، ط٢ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٣٠٨هـ/ ١٩٨٧م)، ص٧؛ عياض، أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي (ت، ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: أحمد بكير محمود، (بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، بلا. ت)، ج١، ص١٣؛ ابن سعيد الخير، علي بن إبراهيم (ت، ٥٧١هـ/ ١١٧٥م)، القرط على الكامل، (بيروت، بلا.م، بلا.ت)، ص٣٥٥؛ ابن الكردبوس، أبو مروان عبدالملك التوزي(ت، ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠ م)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، المعروف بتأريخ الأندلس، تحقيق: أحمد مختار العبادي، (مدريد، مطبعة الدراسات الإسلامية، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م)، ص٥٧.

حوادث عام ٣٦١هـ/ ٩٧١م بأن الخليفة الحكم المستنصر استقبل وفداً بمدينة قرطبة، ولما وصل الوفد إلى باب قصر قرطبة: ((...استقبلهم هناك من تعبئة المحارس والعرفاء المدرعين ورجال الأرباض بقرطبة الشاكين في الأسلحة أعداد متراصون قد ضاقت بهم الأفنية...))[١].

وبذلك كان العرفاء يتمتعون بأهمية بالغة في عهد الخلافة، فبيعتهم للخليفة الجديد كانت تتم مع كبار الموظفين في الدولة، وتكون قبل البيعة العامة، فقد ذكر المقري في عام ٣٥٠هـ/ ٩٦١م عندما توفى الخليفة عبد الرحمن الناصر، وتولى ابنه الحكم المستنصر الخلافة بأن: ((...أول ما أخذ البيعة على صقالبة قصره الفتيان المعروفين بالخلفاء الأكابر... والكتاب والوصفاء والمقدمين والعرفاء فبايعوه...))[٢].

من خلال النصوص المتقدمة يتبين لنا المكانة الرفيعة التي وصل إليها العرفاء في الدولة خلال عهد الخلافة، مما يعكس أهميتهم عند الخلفاء.

ومما يُلاحظ في هذا العهد أن بعض وظائف العرفاء التي كان معمول بها في عهد الإمارة قد استمرت في عهد الخلافة، لأهمية عمل العرفاء واعتماد الخلفاء عليهم، وفي الوقت نفسه نجد وظائف ومهام جديدة للعرفاء لم تكن موجودة في عهد الإمارة قد استجدت واستحدثت في هذا العهد، وقد رتبتُ عرض العرفاء في هذا العهد وفق التسلسل الزمني للمعلومات الواردة عنهم، وهم:

اولاً: عرفاء البناء.

في عهد الخلافة اهتم خلفاء الأندلس بالحركة العمرانية ودفع عجلتها للأمام، إذ سار الخليفة عبد الرحمن الناصر على نهج أجداده في الاهتمام ببناء المدن والقصور والمباني الضخمة التي تعكس هيبة دولته وتطورها، مما كان له الأثر في تخليد ذكراه، فضلاً عن إعمار المدن وتحصينها، وفي نفس الوقت كان لا يتهاون مع الثائرين عليه، ويعاقب المدينة التي تحتضنهم بالهدم والخراب، ومن أجل تحقيق هذا الغرض استعان الخليفة بعرفاء البناء المتخصصين بالهدم وتدمير المدن الثائرة عليه، وهذا ما لم نجده في عهد الإمارة[٣] ففي عام ٣١٦هـ/ ٩٢٨م سيطر جيش الخليفة على مدينة بربشتر بعد أن كانت خاضعة للثائر عمر بن حفصون، فخرج الخليفة الناصر من مدينة قرطبة على رأس قوة كبيرة مكونة من الفرسان والخدم وعرفاء البناء ومعدات الهدم، وعند وصوله إلى المدينة اجتمع مع عرفاء البناء وأمرهم بالمباشرة بهدم المدينة، باستثناء القصور والقصاب التي أبقاها لعماله وحشمه، فباشر عرفاء البناء بدك أسوار المدينة الحصينة ومبانيها وجعلوها قاعاً صفصفاً[٤]، ويُعدّ إجراء الخليفة ذلك، لجعل هذه المدينة عبرة لباقي المدن الأندلسية، وقد

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٢٥، ص ص٤٥-٤٦.

(٢) أزهار الرياض، ج٢، ص٢٨٦.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٥٧٨.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٢٣٢.

عكس مهارة وخبرة عرفاء البناء في الهدم وامكانيتهم في محو آثار العمران والبناء في أي مدينة.

ونظراً لأهمية الأعمال المدنية والعسكرية التي يقوم بها عرفاء البناء، فان الخليفة عبد الرحمن الناصر عندما يقود جيش لإخماد تمرد، أو للقيام بعمليات جهادية يصطحب معه مجموعة من عرفاء البناء، ففي عام ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م توجه إلى (مدينة سرقسطة)[١] بعد أن سيطر عليها الثائر (محمد بن هاشم)[٢]، وعند وصولهِ إليها ضرب عليها حصاراً، وأمر عرفاء البناء ببناء المنازل الرحبة له ولقادته وحاشيته أمام المدينة، وبناء المصانع الحربية، والمراصد المطلة على المدينة ليراقبوا كل من يدخل أو يخرج منها، ووصف ابن حيان هذه المراصد قائلاً: ((...فصار مطلعاً على من داخلها لا يمشي ماشٍ في أزقتها ولا يخرج خارج من أبوابها إلا والعين تأخذه واللسان يصف هيئته...))[٣]، واستطاع الخليفة الناصر دخول المدينة بعد أن سلمها إليه الثائر محمد بن هاشم بعد أن أعطاه الخليفة الأمان، فدخلها الناصر وتجول في رحابها فرأى حصانة أسوارها، واتقان بنيانها ومناعتها، فوجد أن هذه المناعة والحصانة هي الباعث وراء إعلان أهلها العصيان، فأمر الخليفة عرفاء البناء بهدم أسوار المدينة وجميع المباني الحصينة فيها، فباشر عرفاء البناء بعملية هدم أسوار المدينة ومبانيها الحصينة حتى تم تسويتها مع الأرض[٤].

وفي عام ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م حدث حريق كبير بسوق مدينة قرطبة، فاحترقت الكثير من الحوانيت، ووصل الحريق إلى مسجد أبي هارون وتداعى، فضلاً عن دار البريد، فـقام الخليفة عبد الرحمن الناصر باستدعاء عرفاء البناء وطلب منهم إعادة بناء مسجد أبي هارون على ما كان عليه قبل الحريق، فتم بناءه على أحسن بنيان واتقن صنعه، وأمر بإعادة بناء دار البريد على مرتسم وضعه هو شخصياً ورسمه بيده، وطلب من عريف البناء بأن تكون دار البريد مرتفعة البناء كي لا يصيبها ضرر من الأمطار والمياه[٥].

ومما يعكس لنا تظلع الخليفة الناصر بشؤون العمارة إنه كان عارفاً وضالعاً بشؤون التخطيط

(١) مدينة سرقسطة: مدينة كبيرة تقع شرق الأندلس، مشهورة بحسن مبانيها، وكثرة ثمارها، وغزارة مياهها، وتعرف بالمدينة البيضاء، وانفردت بصناعة الثياب السرقسطية الرقيقة. ينظر: المنجم، آكام المرجان، ص١٠٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص٢١٢؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص٩٦.

(٢) محمد بن هاشم: محمد بن هاشم بن محمد بن عبد الرحمن التجيبي، ولاه الخليفة عبد الرحمن الناصر على مدينة سرقسطة ومدينة لاردة عام ٣١٨هـ/ ٩٣٠م، إلا أنه خلع الطاعة وحالف النصارى، فتوجه إليه الخليفة وحاصره بمدينة سرقطة، فطلب الأمان وعقد الصلح بينه وبين الخليفة، واشترك مع الخليفة الناصر في غزوته على مملكة ليون عام ٣٢٧هـ/ ٩٣٨م، وقاتل ببسالة إلا أنه وقع في الأسر. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٢٨؛ ابن الدلائي، نصوص عن الأندلس، ص ص٤٤-٤٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص ١٨٢.

(٣) المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٦٤.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٤١٩.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٨٣.

والهندسة العمرانية وتصميم المباني وفنون العمارة، الأمر الذي كان له الأثر الواضح في ازدهار الحركة العمرانية، وتشيد المدن في عهد هذا الخليفة.

ولم تكن بلاد الأندلس ساحة عمل عرفاء البناء فحسب، بل كانوا يكلفون بواجبات خارج حدود الأندلس، خاصة في ما يتعلق ببناء القواعد العسكرية ومقرات إقامة القادة العسكريين، وحرص الخلفاء على اختيار خيرة عرفاء البناء وكلفوهم بهذا الأمر، ومن ذلك ما حدث في عام ٣٢٤هـ/ ٩٢٤م، إذ أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر عريف البناء محمد بن وليد بن فشتيق باصطحاب فريق العمل الخاص به والتوجه إلى عدوة المغرب عند القائد (موسى بن أبي العافية) [١] لبناء قاعدة عسكرية أندلسية هناك وبناء مقر لإقامة القائد الأندلسي، وخرج عريف البناء مصحباً معه ثلاثين بناءً، وعشرة من النجارين، وخمسة عشر حفاراً، وستة جيارين ومثلهم من النشارين، ورجلين من الحدادين والحصارين، ومعهم آلاتهم وأدواتهم وباشروا في إنجاز المهمة الموكلة إليهم حسب ما رسمها لهم الخليفة[٢].

وبعد أن حقق الخليفة عبد الرحمن الناصر الاستقرار السياسي والإداري والاقتصادي في بلاد الأندلس، وجد بأن العاصمة قرطبة قد اكتضت بالسكان والوافدين عليها، فقرر بناء مدينة خاصه له ولأتباعه، فباشر ببناء (مدينة الزهراء)[٣] في شهر محرم من عام ٣٢٥هـ/ ٩٢٦م، على سفح (جبل العروس) [٤] شمال غرب مدينة قرطبة[٥]، فذكر ابن خلدون (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)، بأن الخليفة عبد الرحمن قد: ((... استدعى عرفاء المهندسين والبنّائين من كل قطر، فوفدوا عليه حتى من بغداد والقسطنطينية...))[٦].

وقدر عدد العاملين في بناء وتشيد مدينة الزهراء من العمال والفعلة يومياً عشرة الآف عامل، وأما

(١) موسى بن أبي العافية: موسى بن أبي العافية بن أبي بسال ابن أبي الضحاك المكناسي، عامل العبيديين على فاس والمغرب، خلع طاعته للعبيديين وأعلن البيعة والطاعة للخليفة عبد الرحمن الناصر فولاه على بلاد المغرب وامده بالمال والسلاح والرجال، وأخذ ينشر دعوة الأمويين في بلاد المغرب، وقتل على يد العبيدين في عام ٣٤١هـ/ ٩٥٢م. ينظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج١، ص٢٠١؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٤، ص١٦٢؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص٥١؛ الناصري، الاستقصا، ج١، ص٢٣٨، ص٢٤٤.

(٢) ابن حبان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص٣٨٨-٣٨٩.

(٣) مدينة الزهراء: مدينة أندلسية صغيرة، تقع شمال غرب قرطبة، بينها خمسة أميال، وهي مدينة مدرجة البناء، جميلة مسور، فيها قصور ضخمة، وبساتين وحدائق، وانفق عليها الخليفة الناصر أموال طائلة. ينظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص١١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٥.

(٤) جبل العروس: جبل كبير تقع قرطبة على سفحه، وعلى سفحه الآخر تقع مدينة الزهراء. ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج٢، ص٥٧٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٦.

(٥) سالم، السيد عبدالعزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧١م)، ج١، ص ص ١٨٧-١٨٩؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ج١، ص١٧٥.

(٦) العبر، ج٤، ص١٨٥.

الدواب المستخدمة فبلغت ألف وخسمائة[1].

وقد أبدع عرفاء البناء في إظهار إمكانياتهم وخبراتهم في تخطيطها وتنظيمها فجعلوها مكونه من ثلاث مدرجات لكل مدرج سور خاص به، ففي الجزء الأعلى القصور التي يعجز الواصفون عن وصفها، وفي الجزء الأوسط البساتين والمتنزهات، وفي الجزء الأسفل الديار والمسجد الجامع [2].

وبعد أن تم بناء المدينة طلب الخليفة من عرفاء البناء اختيار مهرة العمال والصناع والفنانين لبناء المسجد الجامع بها، فاختار العرفاء ألف عامل ثلاث مائة بناء، ومائة نجار، وخمس مائة من أهل الصنائع المختلفة، فبنوا مسجداً جامعاً كبيراً في غاية الروعة والإتقان، واستخدمت فيه الأعمدة الرخامية والقباب الضخمة، وصنعوا له منبراً رائعاً مزخرفاً، وتم إنجاز بنائه خلال مدة ثمانية وأربعين يوماً[3].

ولم تقتصر مهام عرفاء البناء على البناء والتشييد فقد كلفهم الخليفة الناصر بجلب مواد البناء من خارج الأندلس، وأُختير لهذه المهمة العرفاء الثقات والأمناء الحاذقون والمهرة باختيار المواد وجودتها، فوقع اختياره على ثلاثة هم العريف عبدالله بن يونس والأخوين العريف حسن والعريف علي أبناء جعفر الإسكندراني، وكلفهم بالسفر إلى بلاد المغرب كي يختاروا أجود أنواع الرخام كونه منشر هناك بكثرة، وأن يرسلوه إلى مدينة الزهراء، وخصص لهم عن كل قطعة رخام مبلغاً من المال[4].

واعتمد المؤرخون على عرفاء البناء في توثيق المعلومات في مؤلفاتهم، وخاصة عندما يتحدثون عن الحركة العمرانية في الأندلس، وأصبح عرفاء البناء مصادر المعلومات موثوقة عن الموضوع الذي يتكلمون فيه، فهذا المقري ينقل لنا نصاً عن المؤرخ الكبير ابن حيان، ذكر فيه: ((... وقال ابن حيان: ألفيت بخط ابن دحون الفقيه، قال مسلمة بن عبد الله العريف المهندس: بدأ عبد الرحمن الناصر لدين الله بنيان الزهراء أوّل سنة خمس وعشرين وثلاث مائة، وكان مبلغ ما ينفق فيها كل يوم من الصخر المنحوت المنجور المعدل ستّة آلاف صخرة المنصرف في التبليط، ... وكان يخدم في الزهراء كل يوم ألف وأربع مائة بغل، منها أربع مائة زوامل الناصر لدين الله، ومن الدواب الأكرية الراتبة للخدمة ألف بغل، ... ويرد الزهراء من الجير والجص في كل ثالث من الأيام ألف ومائة حمل، وكان فيها حمامان، واحدة للقصر والثانية للعامة....))[5].

(١) عنان، دولة الإسلام، ج١، ص٤٣٦.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٦١؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٩٥.

(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٢٦٤، ج٢، ص ص٢٦٥-٢٦٦؛ عنان، دولة الإسلام، ج١، ص ٤٣٨.

(٤) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٧٠؛ نفح الطيب، ج١، ص٥٦٨.

(٥) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٦٩؛ نفح الطيب، ج١، ص ٥٦٧.

كما حظيت مدن الثغور باهتمام ورعاية الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ أمر في عام ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م، بإعادة بناء (مدينة سالم)[١]، الواقعة بالثغر الأوسط الشرقي، والمقابلة لمملكة قشتالة النصرانية، ووجه أمراً إلى جميع المدن الأندلسية بأن يرسلوا المهرة والحذاق من عرفاء البناء لديهم إلى قرطبة، فتجمع خيرة عرفاء البناء والصناع، والتقى بهم الخليفة وحثهم على سرعة الإنجاز وحصانة البناء، وأرسل مع عرفاء البناء القائد (غالب بن عبد الرحمن)[٢] مع جيش كبير، ليتولى مهمة الإشراف على بنيان المدينة، فوصلوها وباشروا العمل، فخطوا المدينة، وجعلوا فيها الديار والرباط بداخلها، واكتمل بناؤها وتحصينها بعد ستة أشهر من وصولهم، وحصنوها وزودها بالعتاد والرجال والفرسان، وأصبحت شوكة في عيون مملكة قشتالة النصرانية، وخط الصد المباشر لهجماتهم[٣].

وفي عهد الحجابة (٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، حدث تطور في مهام وواجبات عرفاء البناء، فلم يقتصر دورهم على البنيان والتشييد والهدم، إنما استعان بهم قاضي الجماعة بقرطبة لتقييم قيمة الدور السكنية، وبيان وضعها العمراني، ونواقصها والعيوب التي بها، فهذا (أبو بكر ابن زرب)[٤] الذي ولاه الحاجب (المنصور بن أبي عامر)[٥] قضاء الجماعة

(١) مدينة سالم: تقع شمال غرب الأندلس بين مدينة قرطبة وسرقسطة، وتميزت بروعة بنائها وشدة حصانتها، وكثرة اشجارها. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٦٩.

(٢) غالب بن عبد الرحمن: القائد الأعلى أبو عثمان غالب بن عبد الرحمن الناصري، فارس الأندلس في وقته، تولى القيادة العليا للجيوش الأندلسية، وكان من أكابر دولة الخليفة الحكم المستنصر، ومن نُصاح الحكم، ومستشاريه المقربين، ولقب بلقب الوزير القائد، استعان به ابن أبي عامر للتخلص من جعفر المصحفي، ثم انقلب عليه، فجرى الصدام العسكري بينهما، توفى عام ٣٧١هـ/ ٩٨١م. ينظر: ابن حزم، كتاب نقط العروس، ص ص٨١-٨٢؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص٨١؛ أبو طاهر السلفي، أحمد بن محمد الأصبهاني (ت، ٥٧٦هـ/ ١١٨٠م)، أخبار وتراجم أندلسية، (الرياض، دار العلوم، بلا. ت)، ص٣٠.

(٣) عياض، ترتيب المدارك، ج٤، ص٤٠٧؛ ابن عذراي، البيان المغرب، ج٢، ص٢١٤.

(٤) أبو بكر بن زرب: أبو بكر محمد بن يبقى بن محمد بن زرب القرطبي، شيخ المالكية بالأندلس بوقته، كان عالماً، فقيهاً، حافظاً للمسائل، بصيراً باللغة، توفى سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م. ينظر: ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج٢، ص٩٧؛ ابن حزم، كتاب نقط العروس، ج ٢، ص٨٦؛ ابن عبدالبر، أبو محمد يوسف بن عبد الله بن محمد (ت، ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠ م)، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ج٧، ص٣٠٩.

(٥) المنصور بن أبي عامر: أبو حفص محمد بن عبد الله بن أبي عامر محمد بن الوليد المعافري القحطاني، كان متسع الآفاق، ناضج المعرفة، قوي الشخصيه والعزم، شجاعاً، محباً للعلوم مؤثراً للأدب، تولى وظائف كبيرة في الدولة منها صاحب الشرطة الوسطى في قرطبة، وخطة المواريث، وناظراً على الحشم الخاص بالخليفة الحكم المستنصر، ثم أصبح حاجباً للخليفة هشام المؤيد، ولقب نفسه بلقب خلافي وهو المنصور، وكان يدعى له على المنابر، وحجر على الخليفة هشام المؤيد، واصبح هو الحاكم الفعلي لبلاد الأندلس، وعرفت فترته وفترة حجابة أولاده بفترة الحجابة(٣٦٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٦-١٠٠٨م)، توفى سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠١م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ج١، ص٢٥١؛ عياض،

بمدينة قرطبة عام ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م كان يُشهد عرفاء البناء في قيمة وعيوب الدور التي يجب أن يحكم بها، كون عرفاء البناء أهل بصر بشؤون البنيان[١].

واستمر الحاجب المنصور بالاهتمام بعرفاء البناء والاعتماد عليهم، فجعل مجموعة منهم ضمن تشكيلات الجيش الأندلسي، وظيفتهم معالجة ما يعترض الجيش من الأنهر والمجاري المائية، إذ كانوا مختصين بنصب الجسور لتسهيل مهمة العبور، فذكر أن الحاجب المنصور في عام ٣٨٧هـ/ ٩٨٨م أنشأ أسطول كبير في موضع يعرف (بقصر أبي دانس) [٢] عند الساحل الغربي للأندلس، وأمر عرفاء البناء بإنشاء جسراً لعبور نهر كان هناك، لتسهيل مهمة عبور الجيش والعسكر وتسهيل نقل الميرة إلى الجند[٣].

وعندما قاد الحاجب المنصور الجيش الأندلسي لغزو (مدينة شنت ياقب)[٤] في أراضي الممالك النصرانية قطع الجيش مسافة واسعة من الأراضي وعبر عدة أنهر كبيرة، ووصل إلى سلسلة جبال شاهقة كثيرة الوعورة لا توجد فيها مسالك ولا طرق فتوقف الجيش، فأمر الحاجب المنصور عرفاء البناء والفعلة الذين كانوا مع الجيش بأن يستخدموا الحديد لبناء طرق واسعة ويوسعوا المسالك الضيقة، ويزيلوا العقبات والمعوقات أمام مسير الجيش الأندلسي، فنفذ العرفاء ذلك على أتم وجه، واستطاع الجيش من عبور هذه الجبال الوعرة والمسالك الضيقة ووصلوا إلى وجهتهم وحققوا أهداف الحملة[٥].

ومما تقدم يتضح أن عرفاء البناء المصاحبين للجيوش الأندلسية كانت مهمتهم مختصة بإزالت العقبات التي تعترض مسير الجيوش، وتسهيل وصوله إلى الجهة التي يقصدها، فتنوعت مهامهم

ترتيب المدارك، ج٤، ص٦٨٩؛ المراكشي، المعجب، ص ٧٥؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص١٩٩؛ ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي(ت، ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م)، الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب، تحقيق وتعليق: محمد الأحمدي أبو النور، (القاهرة، دار التراث للطبع والنشر، بلا.ت)، ص٢٦٤.

(١) ابن سهل، الأعلام بنوازل الأحكام، ص٤٠٣؛ ابن فرحون، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، تحقيق: جمال مرعشلي، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م)، ج٢، ص٨٣.

(٢) قصر أبي دانس: حصن حصين يقع في الساحل الغربي للأندلس، وينسب إلى بني دانس بن عوسجة من القبائل البربرية، ويعد من الثغور الإسلامي الحصينة، ويعرف أيضاً بقصر الفتح. ينظر: ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٥٠١؛ ابن الآبار، الحلة السيراء، ج٢، ص٢٧٢؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٥.

(٣) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٥.

(٤) شنت ياقب أو شنت ياقوب: قلعة حصينة تقع في ثغور مدينة ماردة، ضمن أراضي جليقية، وهي من أعظم الأماكن قدسية لدى النصارى، لانها تضم كنيسة مبنية على جسد يعقوب الحواري حسب إدعاء النصارى، وكان نصارى أوروبا يقصدونها كحجاج في يوم عيد معروف لديهم. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ٣٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣٤٨؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص ص٤١٣-٤١٤.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٦.

بين إنشاء الطرقات، وتوسيع المسالك الضيقة، وبناء الحصون والمراصد والأبراج وتجهيز الأرض للهجوم والدفاع، فضلاً عن قيامهم بنصب الجسور وحفر الخنادق، وهدم الأسوار والأبواب وغيرها من الأمور غير القتالية التي تساهم في حسم المعركة، وأن عمل عرفاء البناء المصاحبين للجيوش الأندلسية يقوم مقام الهندسة العسكرية في وقتنا الحاضر.

ثانياً: عرفاء البربر.

بعد معركة المصارة التي حدثت في عام ١٣٨هـ/ ٧٥٥م، وانتصار الأمير عبد الرحمن الداخل على آخر ولاة الأندلس يوسف الفهري، كما تبين فيما سبق[١] كيف أعتمد الأمير عبد الرحمن على البربر وعريفهم في هذهِ المعركة ولم يرد لعرفاء البربر أي دور بعد هذا التأريخ، إلا أنهم عادوا وظهروا مرة ثانية في عهد الخلافة، فقد كثر البربر في عهد الخلافة وشكل منهم الخليفة عبد الرحمن الناصر كتائب في الجيش وجعل عليهم عرفاء من زعمائهم، وزجهم في القتال كي يختبر ولاءهم، فأشركهم معه في غزواته لعام ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م التي قصد بها أراضي النصارى في الثغر الأعلى شمال شرق الأندلس، وأبلوا بلاءً حسناً في القتال واستشهد الكثير من عرفائهم في هذهِ الغزوة[٢].

واستمر الخليفة عبد الرحمن الناصر في الاعتماد عليهم، وتقريب زعمائهم، فكان يحيى بن موسى بن ذي النون زعيم قبيلة هوارة البربرية ببلاد الأندلس يقطع الطريق، ويسلب الناس، وتوقف عن الجهاد والطاعة، فوجه إليه الخليفة الناصر جيشاً فقبض عليه وعلى أولاده، وجيئ بهم الى الخليفة الناصر بقرطبة، فعفا عنه وأكرمه، وجعله عريفاً على قومه من قبيلة هوارة البربرية، وأشركه معه في غزواته عام ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م، وأظهر الطاعة والولاء والالتزام للخليفة[٣].

وشجع الخليفة الحكم المستنصر فرسان البربر من(بني برزال)[٤] على القدوم من بلاد المغرب إلى بلاد الأندلس، وشكل منهم قوة من الفرسان وأدخلهم في الجيش، وجعل عليهم عريفاً منهم، وخصص لهم الرواتب والأرزاق، وكان تعداد هذه القوة سبعمائة فارس[٥]، وأشرف الخليفة الحكم بنفسه على تدريبهم، وأظهر إعجابه بهم، إذ قال لأصحابه وهم يشاهدون تدريبهم: ((...انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم... ما أعجب انقيادها لهم، كأنها تفهم

(١) ينظر: موضوع عرفاء البربر في المبحث الأول من هذا البحث.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص٣٤١.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص١٩٥-١٩٦، ص٢٤٤؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص١٨٩.

(٤) بني برزال: هم بطن عظيم من بطون قبيلة زناته البربرية الصنهاجية، دخلوا إلى الأندلس أيام الخليفة الحكم المستنصر، واستقروا بمدينة قرمونة وضواحي مدينة إشبيلية. ينظر: ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٤٩٨؛ المراكشي، المعجب، ص٧٤.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٩٢؛ العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ط١(الإسكندرية، منشأة المعارف، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، ص ٦٠.

كلامهم...))[1].

وفي عهد الحجابة الذي ابتدأه الحاجب المنصور بتصفية خصومه السياسيين والمعارضين له والشخصيات التي كانت تهدد طموحاته وجه جهوده إلى عرفاء القبائل البربرية، فقام بإبعاد العرفاء الذين لم يكن مطمئن لولائهم وإخلاصهم له، فذكر ابن خلدون (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) بأن الحاجب المنصور: ((...استدعى أهل العدوة من رجال زناته والبرابرة فرتب منهم جنداً واصطنع أولياء، وعرف عرفاء من صنهاجة ومغراوة وبني يفرن وبني برزال ومكناسة وغيرهم...))[2]، وقدم الحاجب المنصور عرفاء البربر على العرب، وأعلى من شأنهم في دولته، واعتمد عليهم في ضبط أموره وفي غزواته وحروبه[3].

وأكد ابن عذاري اعتماد الحاجب المنصور على البربر، فقد ذكر مانصه: ((... استبدل المنصور جند الأندلس بالبربر، فأقام لنفسه جندا اختصهم باستصناعه، واسترقهم بإحسانه نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكم، كما فعله في سائر أموره...))[4].

وسبب اعتماد الحاجب المنصور على البربر هو إضعاف دور العرب، وكسر شوكتهم في الجيش، والقضاء على أي تهديد منهم عليه، فضلاً عن ايغار صدور العرب على البربر، فيستطيع أن يضرب أي فئة بالفئة الاخرى، إذا خرجت على طاعته.

ثالثاً: عرفاء السودان.

استمرت طائفة السودان بالتواجد في بلاد الأندلس خلال عهد الخلافة، وكانوا قريبين من خلفاء الأندلس، ويكلفونهم بمهام وواجبات خاصة، إلا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر نكب عرفاءهم وعذبهم ونكل بهم، لأنه كلفهم بمهام لم ينفذوها، وعصوا أوامره، حتى أن المصادر ذكرت ذلك ضمن معايب الخليفة عبد الرحمن الناصر وعبثه برعاياه وتغليظه للعقوبات وتهوينه بالدماء[5]، فأشار ابن حيان إلى ذلك بأن الخليفة عبد الرحمن الناصر: ((...علق أولاد السودان في ناعورة قصوره بدلاً من الأقداس الغارفة للماء فأهلكهم...))[6].

إلا أن أوضاع هذه الطائفة تغيرت في عهد الخليفة الحكم المستنصر، إذ جلب أعداد كبيرة منهم إلى قرطبة، وكون منهم فرقة خاصة بالجيش الأندلسي، وعرف عليهم شخصاً منهم اسمه جعفر بن علي، وأصبح عريفهم من القادة المهمين بالجيش الأندلسي، ووضعهم في العدوة الأندلسية، كخط صد لأي خطر

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص ١٩٣.
(٢) العبر، ج ٤، ص ١٨٩.
(٣) المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٩٧.
(٤) البيان المغرب، ج٣، ص٢٩٣
(٥) ابن حزم الاندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٠م)، ج٢، ص ٧٦.
(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ٣٧.

يقدم من جهة المغرب[١].

كما قرب الحاجب المنصور عرفاء السودان، وأمر باستجلاب أعداد كبيرة منهم، فبلغ عددهم ألفي رجل واستخدمهم لخدمته الخاصة، واعتمد عليهم للتخلص من خصومه وشكل منهم فرق إعدام داخل مطبق الزهراء، إذ كانوا مسؤولين عن بيت البراغيث وهو المكان المخصص للإعدامات داخل مطبق الزهراء[٢].

كما استعملهم الحاجب المنصور لحمل سريره، إذ قال ابن بسام (ت، ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م): ((... كان تحمل سريره السودان الرقاصة[٣] للين مشيهم، وكان يتأذى بصنان ريحهم مع ما كان حوله من الطيب...))[٤].

واستمر استعمال طائفة السودان من قبل الحاجب (عبدالملك المظفر)[٥] (٣٩٢-٣٩٩هـ/ ١٠٠١-١٠٠٨م)، إذ اعتمد عليهم في تصفية الشخصيات البارزة في الدولة، ومن ذلك أن الحاجب المظفر غضب على وزيره وكاتبه (عبدالملك الجزيري)[٦]، وأصدر أمر بإعفائه من منصبه وزجه بمطبق الزهراء، وكلف شخصين من عرفاء طائفة السودان بتصفيته، فدخلا عليه وقتلوه خنقاً وسلموه إلى أهله، وليس عليه أي آثار للتعذيب[٧].

مما تقدم يتضح بأن هؤلاء العرفاء متصفين بالشدة وقساوة القلوب وانعدام الرحمة، وكانوا متخصصين بالتصفية والإعدام دون أن يتركوا أي أثر على جثة الضحية.

---

(١) العبادي، صور من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، ص ص ٦٠-٦١

(٢) ابن بسام، الذخيرة، ج٧، ص٥٢؛ ابن بشكوال، الصلة، ص ٣٤٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج ١، ص ٣٢١؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج٨، ص ٧٤١؛ المشهداني، ((مطبق مدينة الزهراء الأندلسية ٣٣٦-٣٩٩هـ/ ٩٧٤-١٠٠٨م دراسة تأريخية))، بحث منشور في مجلة دراسات في التأريخ والآثار، جامعة بغداد، كلية الآداب، العدد ٧٦ (بغداد، ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م)، ص ١٤٢.

(٣) الرقاصة أو الرقاص: كلمة تطلق في المغرب على عمال البريد والسعاة، لانتظام خطاهم ومسيرهم. ينظر: المقري، نفح الطيب، ج٢، ص١٤٦.

(٤) الذخيرة، ج٧، ص ٧٤.

(٥) عبدالملك المظفر: الحاجب المظفر بالله سيف الدولة، أبو مروان عبدالملك بن محمد بن أبي عامر المعافري، تولى الحجابة للخليفة هشام المؤيد بالله، بعد وفاة أبيه الحاجب المنصور عام٣٩٢هـ/ ١٠٠١م، وسار على سيرة ونهج والده في قيادة الغزوات الدائمة على الأراضي النصرانية، وضبط أمور البلاد بحزم وشدة، توفى سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م. ينظر: ابن حزم الأندلسي، رسائل ابن حزم الأندلسي، ج٢، ص٤٦؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٧٣؛ ابن الآبار، التكملة، ج٤، ص١١١.

(٦) عبد الملك الجزيري: أبو مروان عبدالملك بن إدريس الخولاني، المعروف بالجزيري، كان عالماً، أديباً، شاعراً بليغاً، من كبار أعيان البيان والفصاحة والبلاغة بوقته، جعله الحاجب المنصور كاتب رسائله، وولاه الشرطة بقرطبة، توفى سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م مقتولاً بمطبق الزهراء. ينظر: الكتاني، التشبيهات، ص٢٩٩؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٢٨١؛ ابن خاقان، مطمح الأنفس، ج١، ص ص١٧٧-١٨٠؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٣٣٩؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ص٣٧٤- ٣٧٥.

(٧) ابن بسام، الذخيرة، ج٧، ص٥٢؛ ابن بشكوال، الصلة، ص٣٤٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص ٣٢١؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج٨، ص٧٤١.

رابعاً: عرفاء الخصيان الصقالبة.

احتفظ عرفاء الخصيان الصقالبة بمنزلتهم ومكانتهم الرفيعة عند خلفاء الأندلس، واهتم الخلفاء بهذهِ الطائفة كثيراً، إذ قاموا بجلب وشراء أعداد كبيرة منهم، وتزايدت أعدادهم في بلاد الأندلس عما كانوا عليه في عهد الإمارة، لا سيما في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، إذ بلغ عددهم بمدينة قرطبة ستة الآف وسبعمائة وثمانون صقلبي[1] وعندما بنى الخليفة الناصر مدينة الزهراء وضع في قصره ثلاثة الآف وسبعمائة وخمسون خصي صقلبي، وبسبب وجود هذهِ الأعداد الكبيرة منهم في القصر كان لابد من أن يعين عليهم عرفاء كي ينظموا أمورهم ويشرفوا عليهم، فأصبح عرفاء الخصيان الصقالبة من أقرب موظفي الدولة إلى الخليفة، وأصبحوا أمناء الخلفاء الثقات[2].

واحتفظ عرفاء هذه الطائفة بمنزلة كبيرة ورفيعة لدى الخلفية الحكم المستنصر، إذ أوكل إليهم مهام عدة منها تكليفهم بتفريق أموال الصدقات على فقراء المسلمين فذكر ابن حيان ما حدث في أوائل شهر شوال عام ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م عندما جلس الخليفة الحكم المستنصر بالله بسطح باب السدة، ومعه أهل بيته، وقد تجمع الفقراء والمساكين وأهل الحاجة عند الباب، وأمر الخليفة الحكم عرفاء الخصيان الصقالبة بأن يحملوا أكياس أموال الصدقة ويخرجوا إليهم، وأخذ كل عريف يملأ يديه من الكيس ويقدمه إلى أهل الحاجة الواقفين بباب القصر، وأمام أنظار الخليفة[3].

كما عين الخليفة الحكم المستنصر اثنين من كبرائهم عرفاء عليهم، وهما فائق الصقلبي وجوذر الصقلبي، وأصبحا من أقرب الخدم إلى الخليفة الحكم المستنصر، وخصص لهم الخليفة مقاعد مع كبار رجال الدولة عند استقبال الوفود[4]، وعندما زادت الشكاية عليهما من قبل العامة، قال الخليفة فيهما: ((...هم أمناؤنا وثقاتنا على الحرم، فينبغي للرعية أن تلين لهم، وترفق في معاملتهم، فتسلم من معرتهم، إذ ليس يمكننا في كل وقت الإنكار عليهم...))[5].

خامساً: عرفاء الخدم.

لم تقدم المصادر معلومات وافية عن عرفاء الخدم خلال عهد الخلافة خلاف ما قدمته عن دورهم في عهد الإمارة سوى إشارة واحدة، ففي هذا العهد خصص لخدم حريم الخليفة داخل القصر عريف يشرف عليهم ويدبر أمور الحريم وما يحتاجونه، وكان الخليفة يختار هذا العريف من بين الشخصيات الثقات عنده، والذي يكون متميزاً بدينه وأمانته،

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: محمود علي مكي، ص٢٠٠؛ ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٦٠؛ مجهول، تأريخ الأندلس، ص٧٨.

(٢) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٦٩؛ نفح الطيب، ج١، ص ٥٦٧.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص ص٢٣٣-٢٣٤.

(٤) المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٢٨٧.

(٥) ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص ٢٥٩.

لأنه سوف يطلع على حريمه، ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ولّى شخصاً يدعى طلال القصري على عرافة خدم حريمه في القصر، وذكر ابن حيان بأن هذا العريف: ((...كان من فهماء الخدام... وعقلائهم، وثقاتهم المتصرفين في خدمة الحريم...))[١].

ولُقب هذا العريف بالقصري يبدو أنهُ ولد ونشأ وترععَ في قصر الإمارة، ومن ثم الخلافة، وتدرج في الخدمة إلى أن أصبح من كبار ثقات الخليفة، ليتولى هذا المنصب[٢].

سادساً: عريف المؤذنين.

استمرت وظيفة عريف المؤذنين في عهد الخلافة، وذلك لأهميتها الدينية الكبيرة، كون عريف المؤذنين هو الشخص المسؤول عن رفع الأذان والإقامة في المساجد الجامعة، واهتم خلفاء الأندلس بأماكن تواجد المؤذنين في المسجد الجامع بمدينة قرطبة، وقاموا بإضافة بناء داخل المسجد الجامع، ليكون مكاناً مخصصاً لوقوف المؤذنين وعريفهم، كي يصل صوتهم إلى جميع أركان المسجد، وخاصة بعد الزيادات والتوسعة التي طرأت عليه، ففي عام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م وسع الخليفة الناصر البناء في المسجد الجامع بقرطبة، وبنا صومعة الجامع العظيمة، وجعل في المسجد بهواً كبيراً على شكل دائرة يصطف أمامه عريف المؤذنين والمؤذنين يوم الجمعة للأذان، ووصف من عجائب البنيان في المسجد الجامع[٣] أما وقوف المؤذنين فيكون بمختلف الاتجاهات كي يصل صوتهم إلى أنحاء المسجد[٤].

ومن الذين تقلدوا عرافة المؤذنين في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر مولاه أحمد بن محمد الذي قُلد عرافة المؤذنين في المسجد الجامع بمدينة قرطبة بأمر الخليفة نفسه، وكان أحمد يتخذ من منارة الجامع مكان له ليرفع الأذان[٥].

مما ينوه بتطور مهم في هذهِ الوظيفة، ففي عهد الإمارة كان تعيين عريف المؤذنين ضمن صلاحيات صاحب الصلاة، ولم نجد أياً من الأمراء قد تدخل في تعين عريف للمؤذنين، وبهذا نلمس أهمية هذه الوظيفة في عهد الخلافة.

سابعاً: عريف العلافة.

وهو من الشخصيات المهمة التي ترافق الجيش الأندلسي في تحركاته وحملاته العسكرية، ويكون مسؤولاً عن المجموعة التي تتولى علافة الحيوانات والخيول وتوفير المياه لها وكل ما تحتاجه لتكون جاهزة ومستعدة على أفضل شكل، وممن تولى هذه الوظيفة في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر شخص اسمه نجدة، كان الخليفه قبل خروج الجيش الأندلسي يجتمع به ويتفقد أحواله واحتياجاته، ويحثه على أن يتولى أمر العلافة بنفسه ويلزمه الخروج إلى الخيول والدواب

(١) المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص٩.
(٢) ابن الآبار، التكلمة، ج٣، ص١٧٤.
(٣) ابن عذاري، البيان، المغرب، ج٢، ص٢٢٨.
(٤) الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٨.
(٥) ابن الآبار، التكملة، ج١، ص٩٤.

شخصياً، وأن لا يكلف أحد من أتباعه خوفاً من أن يصيب الدواب الضعف مما يؤثر على سير العمليات العسكرية كونها تحمل العدة ومتاع الجند، وحرص نجدة على أن يتولى ذلك، ويجهد نفسه في سبيل ضبط مسألة علافة الحيوانات، وكان الخليفة الناصر يحمده ويشكره على دقة عمله[1]، ولم تقدم المصادر التي اطلعنا عليها المزيد من المعلومات عن الشخصيات التي تقلدت هذه الوظيفة سوى ما أشرت إليه.

ثامناً: العرفاء الإداريين.

تميز بعض العرفاء بمهارات ومواهب إدارية جعلت خلفاء الأندلس يتنبهون إلى ذلك، واستفادوا منهم لإدارة المدن التي شهدت مشاكل وقلاقل كالتمرد أو العصيان، وأن توليتهم لهذه المدن بشكل مؤقت، فتكون ولايتهم عليها كحاكم عسكري للمدينة إلى أن يضبط أحوالها ويرتب شؤونها، فعندما استولى جيش الخليفة عبد الرحمن الناصر على (مدينة أبذة)[2] التي كانت تحت سيطرة الخارجين عليه من أتباع عمر بن حفصون، ولّى الخليفة عليها أحد العرفاء والذي يعرف باسم (ابن بزنت العجمي)[3] فتولاها مدة من الزمن واستطاع أن يضبط أمورها ويرتب أحوالها ويعيد والأمن والاستقرار إليها[4]، ومما يمكن قوله بأنه على الرغم من شحة المعلومات عن الشخصيات التي تقلدت مهمة العرافة الإدارية إلا أن النص المتقدم يوحي بالدور الريادي والمهم الذي اضطلع به العرفاء الإداريين من خلال قيامهم باستتباب الأمن وإعادة الاستقرار في الربوع المضطربة التي حلوا بها.

تاسعاً: عرفاء البحريين.

لم تقتصر العرافة في الجانب العسكري على القوات الراجلة (المشاة) والفرسان التي تقاتل على الأرض، إنما كان للقوات البحرية عرفاء عرفوا باسم عرفاء البحريين، وهم مسؤولون عن الأسطول الأندلسي المؤلف من السفن والمراكب البحرية، وتقع على عاتقهم مسؤولية فرض هيمنة الأسطول الأندلسي على المياة المحيطة بها، ويشترط فيهم أن يكونوا من ذوي الخبرة الكبيرة في فنون القتال البحري، وشؤون البحر، ومعرفة أسرار الملاحة، ومهب الريح، وتزويد السفن الحربية بكل ما تحتاجه من معدات ومؤن ومقاتلين من أجل إنجاح مهام الأسطول الأندلسي[5].

وأول إشارة في المصادر الأندلسية عن عرفاء البحريين هي في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر، عندما استطاع اعادة السيطرة على (الجزيرة الخضراء)

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) مدينة أبذة: مدينة أندلسية صغيرة من أعمال مدينة جيان، تقع على مقربة من نهر الوادي الكبير، وفيها يزرع القمح والشعير بكثرة، استولى عليها النصارى سنة ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م. ينظر: الحميري، الروض المعطار، ج١، ص٦.

(٣) لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شماليتا، ص١٣١.

(٥) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٧٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥٣؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٣٩؛ المقري، نفح الطيب، ج١، ص٤١٤.

[1]، وطرد أتباع عمر بن حفصون، إذ وجد سفن ابن حفصون تنقل المساعدات والإمدادات من العدوة المغربية المقابلة للسواحل الأندلسية، فأمر الخليفة عبد الرحمن باستقدام العرفاء البحريين، وأمرهم بجلب المراكب البحرية من مدن مالقة وإشبيلية وغيرها من المدن الأندلسية، والتزود بالأسلحة والمقاتلين، والآت الحرب البحرية، وأمرهم بالتجوال في السواحل من الجزيرة الخضراء إلى مدينة تدمير، وأن يقطعوا خطوط الإمدادات البحرية لابن حفصون، ويمنعوا أصحابه من الهرب إلى المغرب، وأن لا تمر سفينة في البحر إلا بإذنهم وعلمهم، فتحرك العرفاء البحريون وقاموا بأسر جميع السفن التي كانت تنقل المؤن لابن حفصون، وأمر الخليفة العرفاء أن يحرقوا هذهِ السفن أمامه، ونجح العرفاء البحريون في أن يفرضوا سيطرتهم وهيمنتهم على السواحل الأندلسية بشكل تام[2].

ومن واجبات العرفاء البحريين أنهم يوجهون قائد الأسطول الأندلسي في حملاته البحرية، ويخبروهم بالأوقات المناسبة لبدأ هجوم بحري أو إلغائه، ومن ذلك ما حدث عام ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م، عندما توجه القائد (مجاهد بن عبدالله)[3] لغزو (جزيرة سردانية)[4]، فقاد مجاهد الأسطول الأندلسي وتوجه إلى إحدى المراسي التابعة للجزيرة، إلا أن عريف البحريين، وهو شخص يدعى العريف أبو خروب منعه من التقدم، لأن الأجواء المناخية غير مناسبة للهجوم، فلم يستمع إليه مجاهد وأصر على الهجوم، فلما دخل الأسطول الأندلسي إلى المرسى هبت رياح عالية، وهاج البحر، وأخذت الأمواج تقذف بمراكب الأسطول الأندلسي بإتجاه اليابسة التي فيها قوات الروم الصليبيين،

(١) الجزيرة الخضراء: مدينة أندلسية بحرية مشهورة، ويقال لها جزيرة أم حكيم، وتقابل من جهة المغرب مدينة سبتة في بر العدوة المغربية، والبحر يحيط بها من ثلاث جهات، ولذلك سميت جزيرة، بينها وبين مدينة قرطبة مائة وخمسة وستون ميلاً . ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص١٣٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٢٢٣.

(٢) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: شالميتا، ص ص٨٧-٨٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٤، ص١٧٩.

(٣) مجاهد بن عبد الله: الأمير القائد أبو الجيوش مجاهد بن عبد الله العامري، كان رجلاً شجاعاً جريئاً، جلداً، غازياً، أديباً، محباً للعلم مكرماً لأهله، وفي أيام الفتنة استولى على الجزائر شرق الأندلس ودانية ومرسية واستقل بها، توفى سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م. ينظر: الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٢٣، ص٣٥٢؛ ابن عساكر، تأريخ دمشق، ج٥٥، ص ٧٨؛ ابن خير الإشبيلي، أبو بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي (ت، ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م)، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق: محمد فؤاد منصور، ط١ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م)، ص ٣٢٠؛ الضبي، بغية الملتمس، ص ٤٧٢.

(٤) جزيرة سردانية: جزيرة على طرف البحر الشامي (البحر الأبيض المتوسط) كبيرة وواسعة، أهلها من الأفارقة الروم المتوحشين، لها حصون وأسواق كثيرة، ولها مرسى عجيب، له مدخل كأنه باب لا يفتح إلا بإذن القائمين عليه، فتحها المسلمون عام ٩٢هـ/ ٧١٠م، ثم استولى عليها الروم ثانية، واستطاع مجاهد العامري فتحها عام ٤١٠هـ/ ١٠١٩م. ينظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٤، ص١٩٠؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٩؛ الحميري، الروض المعطار، ص٣١٤.

والذين كانوا بانتظار المسلمين بالأسر والقتل، وكلما تسقط سفينة بأيدي الروم كان مجاهد يبكي بأعلى صوته ولا يقدر على فعل شيء، وعريف البحريين أبو خروب ينشد: ((... بكى دَوْبَلٌ لا أرقأَ اللهُ دمعَه... ألا إنّما يبكي من الذّلّ دوبلُ، ويقول: قد كنت حذرته من الدخول هنا فأبى...))[1]، وانتهت هذهِ الغزوة بالفشل والانهزام وتحطمت معظم السفن وأسرت أو أغرقت، وقتل معظم أصحابه، بسبب عدم الاستماع إلى رأي عريف البحريين وعاد الأسطول بعدد قليل من المراكب[2].

عاشراً: عريف الأهراء.

في عهد الخلافة استمر الاهتمام بمسألة اختيار عريف الأهراءات، وهو المشرف على مخازن الحبوب والمواد الغذائية، وذلك لأهميتها للدولة والمجتمع الأندلسي، ففي عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر تولى هذه الوظيفة بقرطبة بنو ربيع بن محمد بن ربيع من قبائل الأوس، وأسند إليهم مهمة الإشراف على الأهراءات بقرطبة التي كان موقعها بالجانب الشرقي من المدينة، وذلك لثقة الخليفة بهم ومعرفته بأمانتهم وتدينهم[3].

وعندما تولى الخليفة الحكم المستنصر عزل بني الربيع من مهمة عرافة الأهراء، وولّى أحد خواصه وثقاته المعروف بابن قلزم عريفاً على الأهراء بقرطبة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[4].

مما يشير إلى أن هذه الوظيفة قد منحت الى الشخصيات المقربة من الخلفاء الذين يمثلون أصحاب الرأي والقرار الأول في الدولة، مما يكشف الدور المهم الذي كان يضطلع به عريف الأهراء في الحفاظ على المخازن وما تحويه من مواد الأمر الذي له أثر بالغ في الحفاظ على اقتصاد الدولة من الاختلال وعدم الاستقرار، الأمر الذي يستلزم بأن يعهد به إلى الثقات والأمناء المقربين إلى الخليفة.

الحادي عشر: عرفاء أصحاب الرسائل.

هم الأشخاص المسؤولون عن الموظفين العاملين في خطة البريد، وجعل على هؤلاء الموظفين عريف يشرف على كل مجموعة منهم، ويتم اختيار عرفاء أصحاب الرسائل من بين الشخصيات التي تتميز بالأمانة والثقة الكبيرة والذكاء والسرعة في العمل، وكان يكلف أولئك العرفاء بعدة مهام أهمها نقل الأموال والتوجيهات من العاصمة قرطبة إلى قادة الجيش، لانفاقها على العمليات العسكرية التي تقوم بها جيوش الدولة ضد أعدائها[5].

وذكر ابن حيان في عام ٣٦١هـ/ ٩٧١م بأن

(١) الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٧٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥٣؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج٩، ص٥٥٨.

(٢) ابن حزم الأندلسي، رسالة في فضل الأندلس، ج٢، ص٢٢٨؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص٤٧٢؛ الضبي، بغية الملتمس، ص٣٥٣؛ الذهبي، تأريخ الإسلام، ج ٩، ص٥٥٨.

(٣) ابن حزم الاندلسي، جمهرة أنساب العرب، ص٣٣٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٧٢.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٩١؛ الخلف، نظم حكم الأمويين، ج١، ص٢٥٩.

الخليفة الحكم المستنصر أرسل، ((...ثقاته من عرفاء أصحاب الرسائل...))[1]، يحملون الأموال والكسي إلى وزيره وقائد جيشه بعدوة المغرب (ابن طلمس)[2]، لينفقها على المعارك التي يقودها هناك ضد أتباع الدولة الفاطمية[3].

وكان يرافق عرفاء أصحاب الرسائل في مهامهم فئة أخرى تعرف بكتاب الفرانقيين، ومهمتهم مراقبة عرفاء أصحاب الرسائل في أعمالهم، والنظر في أحوال محطات البريد، والخيول المخصصة لها، وتقديم تقرير مفصل عن كل ما يحدث في سير عملية نقل البريد[4].

ولذلك يمكن أن يعد عرفاء أصحاب الرسائل الفئة المخصصة لنقل البريد الخاص والسري بين الخليفة وقادة جنده، وهم حلقة الوصل بين القيادة المركزية بقرطبة وبين قادة الجيش الأندلسي.

الثاني عشر: عرفاء المحارس.

ضمت خطة الشرطة ببلاد الأندلس صنف مرتبط بها يسمى الحرس، وواجباتهم حراسة المدن وأبوابها ودورها والطرق من الفتن والاضطرابات، وضبط الأمن والنظام فيها، ولهؤلاء الحرس شخص يقودهم ويشرف عليهم يعرف بعريف المحارس، وله مقر خاص به وبأتباعه في كل مدينة أندلسية يُعرف بالمحارس، وكان عريف المحارس من أعوان (صاحب الشرطة العليا)[5] ويعمل تحت أمره وإشرافه ويساعده في إتمام واجباته ومهامه التي يُكلف بها من قبل الخليفة شخصياً[6].

وكان عرفاء المحارس وأتباعهم من الحرس يحملون السيوف والرماح والسكاكين، ويرتدون الدروع التي تقيهم ضربات الأعداء[7].

(١) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص ٩١.

(٢) ابن طلمس: محمد بن قاسم بن طلمس، وزير الخليفة الحكم المستنصر وقائد جيوشه في عدوة المغرب، وتولى منصب صاحب الخيل والناظر في الحشم، قتل سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م في مدينة طنجة على يد أمير الأدارسة. ينظر: ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٤٧، ص٧٨، ص٩٧، ص٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٩١، المقري، نفح الطيب، ج١، ص٣٨٩.

(٣) السامرائي، أسامة عبدالحميد حسين، تأريخ الوزارة في الأندلس ١٣٨-٨٩٧هـ/ ٧٥٥-١٤٩٢م، (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، ص٤٦.

(٤) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص١٨٤؛ سعداوي، نظير حسان، نظام البريد في الدولة الإسلامية، (القاهرة، دار مصير للطباعة، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م)، ص ٧٠.

(٥) صاحب الشرطة العليا: أوجد هذا المنصب الأمير عبد الرحمن الأوسط، وهو أعلى أنواع مناصب الشرطة ببلاد الأندلس، ولصحابه الحكم على الطبقة العليا من المجتمع، وأصحاب المناصب العليا وذوي الجاه وأقاربهم.ينظر: ابن سعيد، المغرب، ج١، ص٤٦؛ ابن خلدون، المقدمة، ص٣١١.

(٦) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٥٣، ص١٩٦؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٧٥، ص٦٩٢؛ المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله القيرواني (ت، ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م)، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق: حسين مؤنس، (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٧١هـ/ ١٩٥١م)، ج٢، ص ٢٤١.

(٧) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٥٤؛

وذكر ابن حيان أن الخليفة الحكم المستنصر سخط على (محمد بن سعيد)[1] ابن خال أبيه الخليفة عبد الرحمن الناصر لأمر أنكره عليه، فعهد إلى صاحب الشرطة العليا (هشام بن محمد)[2] بالتوجه إليه بنفسه، وأن يلقي القبض عليه ويزجه في السجن، فقصد صاحب الشرطة العليا ومعه عرفاء المحارس وعدد من الفرسان دار محمد بن سعيد بمنية عبدالله الواقعة شرقي قرطبة، فألقى القبض عليه وقيده بالحديد، وأخذه إلى باب السدرة بقصر الزهراء، وسجنه ببيت العمال داخل قصر الزهراء[3].

الثالث عشر: عرفاء دار الخيل.

وهم الأشخاص المسؤولون عن الخيول والبغال والحمير والدواب الموجودة في دار الخيل بقرطبة، وتمتاز هذهِ الدار بالاتساع والضخامة، كونها مخصصة للدواب يتم فيها رعايتها والاعتناء بها، وتوفير جميع ما تحتاجه من مراعٍ ومعالف وسروج ولجم ونظافة وتدريب وما إلى ذلك، وعين عليها عرفاء يتولون مهمة الإشراف عليها، وتجهيز الدواب بصورة مستمرة، ويرفع العرفاء جرداً بعدد الدواب وأنواعها وأصنافها إلى الخليفة بصورة مستمرة، ويعلمونه بعدد ما مات منها، وكانت هذهِ الدار تجهز جميع أجهزة الدولة والقادة والجيش بالدواب التي يحتاجونها في عملياتهم العسكرية والأمنية[4].

وذكر ابن حيان أن الخليفة الحكم المستنصر في عام ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م أمر عريف دار الخيل دري بن الحكم الصقلبي المعروف بالهماز بالخروج إلى العدوة المغربية محملاً بالسروج واللجم التي تحتاجها دواب القوات الأندلسية هناك، وفعلاً خرج من دار الخيل بقرطبة إلى العسكر بالعدوة وبين يديه جملة من البغال والزوامل محملة بالأموال، والسروج واللجم [5].

الرابع عشر: عريف الخياطين.

نظراً لأهمية مهنة الخياطة في الدولة العربية الإسلامية، استمر اهتمام خلفاء بلاد الأندلس بهذهِ المهنة، فكانوا يشرفون بأنفسهم على الخياطين العاملين في قصر الخلافة ويتفقدون أحوالهم، ويجتمع الخليفة

الرحموني، محمد الشريف، نظام الشرطة في الإسلام، (بيروت، الدار العربية للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، ص ص ٨٩-٩٠.

(١) لم أقف على ترجمته فيما اطلعتُ عليه من مصادر.

(٢) هشام بن محمد: هشام بن محمد بن عثمان القيسي المصحفي، وهو ابن أخ الحاجب جعفر المصحفي، ولاه الخليفة الحكم المستنصر خطة الشرطة العليا، وقائداً عسكريا على مدينة طرطوشة وكورة بلنسية، وفي عهد الخليفة هشام المؤيد ضم إليه خطة الخيل، وجعله وزيراً. ينظر: السمعاني، الأنساب، ج٢، ص ٢٤٣؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص ص٢٠-٢١، ص٤٦، ص١٥٣؛ ابن الآبار، التكملة، ج١، ص٣٠٦؛ الحلة السيراء، ج١، ص ٢٥٨؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص ٢٨٨.

(٣) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٥٣.

(٤) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٦٦، ص ص١٥٠-١٥١؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج٢، ص٢٩٨.

(٥) ابن حيان، المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص١٥١.

مع عرفائهم الذين حافظوا على مكانتهم المتميزة عند الخلفاء وفي الدولة، إذ كان لعريف الخياطين دوراً مهماً ومتميزاً أثناء مراسيم تجميع الجيوش الأندلسية قبل انطلاقها للجهاد في عهد الخلافة، وهذا الأمر لم نجده في عهد الإمارة، إذ أنيطت به مهمة تحضير وخياطة وطرازة اللواء (الراية) التي كانت تعطى لقائد الجيش الأندلسي عند خروجه للمعارك أو الغزو، فقد ذكر ابن حيان أن الخليفة الحكم المستنصر أمر بعقد الراية للوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرحمن لقيادة صائفة على (مدينة قبرة)[1] فقام اثنان من كبار الوزراء بإحضار الراية ذات القطع الثلاث وهي العقدة والعلم والشطرنج وهي الرايات العسكرية المشهورة ببلاد الأندلس، ثم تولى عريف الخياطين بقصر الخلافة دري المعروف بابن عقبة عقد هذه الأعلام في أماكنها، واستدعى القاضي (محمد بن يوسف القبري)[2] إمام الصلاة بقصر الخليفة، فضلاً عن بعض أئمة النافلة ومن معهم من المؤذنين، وبمجرد استلام عريف الخياطين للرآية بدأ القاضي يقرأ سورة الفتح، وكان انتهاؤه منها مع انتهاء عريف الخياطين من عقد الأعلام، وصحب ذلك التكبير والتهليل بصوت مرتفع من كافة الحضور، بعد ذلك خرج عريف الخياطين ومن معه من الوصفاء والمؤذنين ومعهم الرايات الثلاث إلى باب السدة، وهم يكبرون ويهللون وسط كوكبة من الفرسان مكتملي الزينة، وكان في استقبالهم هناك الوزير صاحب الخيل والحشم ومعه أحد الوزراء، ثم واصلوا مسيرهم إلى باب الوزير الأعلى غالب بن عبد الرحمن الذي كان بانتظار وصولهم ومعهم اللواء الذي يحمله عريف الخياطين فلما وصلوا امتطى صهوة جواده واستلم اللواء وخرج للغزو من حينه[3].

مما يعكس دور عرفاء الخياطين المهم في الدولة، إذ لم يختص بالإشراف على خياطة وطرازة الملابس التقليدية والرسمية فحسب إنما كان يساهم في إعدادات أدوات الحرب من رايات وأعلام الأمر الذي يكشف إسهامهم في الإعداد الحربي.

واهتم الخليفة الحكم المستنصر بعرفاء الخياطين الذين كانوا يعملون بدار الطراز بقصر قرطبة، إذ ذكر ابن حيان ذلك قائلاً: ((... ركب الخليفة الحكم إلى

(١) مدينة قبرة: مدينة تبعد عن قرطبة ثلاثون ميلاً، وهي مشهورة بطيب هوائها وخصوبة تربتها، وعذابة مياهها التي تخرج من العيون، وتزرع بها اشجار الزيتون بكثرة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٥؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٥٣.

(٢) محمد بن يوسف القبري: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سليمان الجهني القبري، كان من أهل الفقة والتلاوة للقرآن الكريم، ومن أهل الخير والفضل والتقوى والصلاح، واتخذه الخليفة عبد الرحمن الناصر إماماً في القصر، ثم ولاه الخطبة والصلاة في مدينة الزهراء، وولاه الخليفة الحكم المستنصر أحكام القضاء بمدينة قبرة، وبقي في منصبه إلى أن توفى سنة ٣٧٢هـ/ ٩٢٨م. ينظر: ابن الفرضي، تأريخ علماء الأندلس، ج١، ص٧٩؛ ابن حيان، المقتبس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ص١٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٤، ص٣٠٦.

(٣) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص ص٢٥-٢٦.

دار الطراز اعتناءً بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قوامها من الوكلاء والقوام بالأعمال فيها -أي العرفاء- فقضوا حقه وسألهم عن أشياء من أعمالهم وأنعم توصيتهم، ...))[1].

الخاتمة

بعد اتمام موضوع: ((العرفاء في بلاد الأندلس خلال عهدي الإمارة والخلافة ١٣٨-٤٢٢هـ/ ٧٥٥-١٠٣٠م)) تبين ما يأتي:

- ان نظام العرفاء كان معمولاً بهِ منذُ نشأة الدولة العربية الإسلامية، واستمر الاعتماد عليه خلال العهد الراشدي وفي الدول الأموية، واقتصر عمل العرفاء خلال هذهِ المدة على الجانب العسكري والقضايا الاجتماعية.

- عَرفت الأندلس نظام العرفاء منذُ انطلاق العلميات العسكرية لفتح شبه الجزيرة الإيبيرية، واقتصر مهام العريف على الشؤون الحربية، وقيادة أقوامهم في معارك الفتح، ولم يحدث أي تطور على هذا النظام طلية عهد الولاة (٩٥-١٣٨هـ/ ٧١٣-٧٥٥م).

- شهد عهد الإمارة(١٣٨-٣١٦هـ/ ٧٥٥-٩٢٨م) تطوراً في نظام العرافة وفي مهمة العرفاء فتعددت وظائفهم واختصاصاتهم، وأصبح نظام العرفاء في بلاد الأندلس مساعد وعون لأجهزة الدولة المختلفة.

- ارتبط أغلب العرفاء بحكام الأندلس من أمراء وخلفاء بشكل مباشر، فهم من يولوهم ويكلفونهم بالواجبات والمهام في حين ارتبط قسم منهم بكبار رجال الدولة من أصحاب الخطط الكبيرة.

- لم تقدم المصادر معلومات وافية عن العرفاء من حيث التعريف بهم وبأسمائهم وحياتهم، واكتفت في أغلب الأحيان بذكر اسم العريف واسم أبيه فقط، وأحياناً كنيته أو لقبه، ثم تذكر اسم العرافة التي تولاها، ويرجع ذلك إلى التكتم الذي اتبعته الدولة حول العرفاء، إذ كانت أغلب أعمالهم مرتبطة بالحاكم مباشرة، وكانوا أنفسهم يعملون سراً بعيداً عن الشهرة، ولم يكونوا معروفين لدى العامة.

- أدى العرفاء دوراً كبيرة في حماية وحراسة وخدمة الأمير الأندلسي في عهد الإمارة من خلال القضاء على حركات التمرد والعصيان في الدولة، وقدموا خدمات كبيرة في حفظ الأمن والاستقرار الإداري في المدن الأندلسية المختلفة.

- كان لعرفاء الجند في بلاد الأندلس دوراً كبيرً في حسم المعارك التي خاضها الجيش الأندلسي، ذلك أنهم كانوا يشكلون مجموعات من الخيالة والمقاتلين المتدربين على مختلف أنواع القتال وفنونه وأساليبه، ولهم خبرة في فرض الحصار وفتح المدن، وكانوا يقاتلون كمجوعات بمعزل عن تشكيلات الجيش النظامي، فأصبحوا عاملاً مهماً في حسم المعارك لصالح السلطة المركزية في الأندلس، ولم يقتصر

(١) المقتبس، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ص٩٢.

دور العرفاء العسكري في الميدان البري بل كان لهم حضوراً فاعلاً في الميدان البحري من خلال عرفاء البحريين الذين برعوا في قيادة الأسطول البحري في الأندلس ونجحوا في فرض هيمنته على الشواطئ الأندلسية وتأمينها من الأخطار المحدقة بها.

– تمتع عرفاء البناء بمنزلة كبيرة لدى الأمراء والخلفاء ببلاد الأندلس، وكانوا السبب الرئيس في نهضة الحركة العمرانية الكبيرة التي شهدتها بلاد الأندلس، سواء بتشيد المدن وعمارتها أم تحصينها وفي الوقت نفسه ظهر قسم منهم متخصص في هدم المدن والمعالم العمرانية، فضلاً عما قدموه من خدمات كبيرة للجيش الأندلسي، إذ شكلت منهم فرقة ضمن الجيش تتولى مسؤولية إزالة المعوقات والعقبات أمام مسير الجيش، ونصب الجسور، وهدم الأسوار وفتح الأبواب وبناء الأبراج والحصون، وغيرها من الأمور التي يتطلبها الجهد الهندسي العسكري، فكان لهم دور رئيس ومتميز في حسم المعارك صالح الجيش الأندلسي.

– برز صنف من العرفاء اهتم باسطبلات الخيل، قسم منهم مختص بدار الخيل، وقسم مختص بمسألة علافة الدواب التي تستخدم في الحروب، وتعتمد عليها أجهزة الدولة المختلفة.

– كما برز دور عرفاء الأجناس البشرية المتواجدة في بلاد الأندلس، والتي كان لها دور مهم في الحياة العامة الأندلسية، كعريف البربر، وعريف طائفة السودان، وعريف الصقالبة الخصيان، وعريف أهل الذمة.

– أدى عرفاء السوق في بلاد الأندلس دوراً كبيراً في مراقبة الأسواق ومنع حالات الغش والتلاعب في البضائع والأسواق وحافظوا على النشاط الاقتصادي في البلاد، كما ظهر عرفاء المحارس الذين حافظوا على الأمن والاستقرار داخل المدن.

– في عهد الخلافة وصل العرفاء إلى منزلة رفيعة ومتميزة في الدولة إذ أصبحوا يجلسون مع كبار موظفي الدولة في قصر الخلافة عندما تأتي الوفود الرسمية إلى الخليفة، وأصبحوا بمكانة عالية جعلتهم ضمن الطبقة الكبيرة التي تأخذ منها البيعة للخليفة الجديد قبل البيعة العامة.

– إن الأمراء والخلفاء في بلاد الأندلس أوجدوا هذه التخصصات المتعددة والمتنوعة للعرفاء للسيطرة على جميع المفاصل في دولتهم، وليوزعوا الأعمال كي لا يتم الاعتماد على شخصيات معينة، خشية أن تتأرجح ولاءاتهم لا سيما أن المجتمع الأندلسي يتكون من أجناس وأعراق مختلفة، فضلاً عن ذلك أن وجود العرفاء لتقديم العون والمساعدة لأجهزة الدولة المختلفة.